أكثر أبو هريرة

دراسة تحليليّة نقديّة

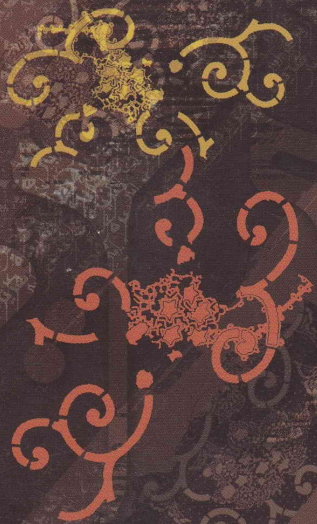

مصطفى بو هندي

أكثر أبو هريرة

دراسة تحليليّة نقديّة

الدكتور مصطفى بوهندي

تقديم

الأُستاذ الشيخ محمّدرضا المامقاني

(الطبعة الثالثة)

شبكة الفكر
alfeker.net

▼

أكثر أبوهريرة دراسة تحليليّة نقديّة

تأليف مصطفىٰ بوهندي
تقديم الأُستاذ الشيخ محمّدرضا المامقاني
منشورات دليل ما
الطبعة الثالثة: ١٤٣٢ هـ ق ـ ١٣٨٩ هـ.ش.
طبع في ٢٠٠٠ نسخة
المطبعة: نگارش
السعر مُجلّداً: ٢٣٠٠ تومان
ردمك: ٢ ـ ٢٠٤ ـ ٣٩٧ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨
العنوان: ايران، قم، شارع معلم، ساحة روح الله، رقم ٦٥
هاتف وفكس: ٧٧٣٣٤١٣، ٧٧٤٤٩٨٨ (٩٨٢٥١+)
صندوق البريد: قم ١١٥٣ ـ ٣٧١٣٥
WWW.Dalilema.com
info@Dalilema.com

انتشارات دليل ما

مركز التوزيع:
١) قم، شارع صفائيه، مقابل زقاق رقم ٣٨، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٧٧٣٧٠٠١١ ـ ٧٧٣٧٠٠١
٢) طهران، شارع إنقلاب، شارع فخر الرازي، رقم ٦١، الهاتف ٦٦٤٦٤١٤١
٣) مشهد، شارع الشهداء، شمالي حديقة نادري، زقاق خوراكيان، بناية گنجينه كتاب التجارية، الطابق الأول، منشورات دليل‌ما، الهاتف ٥ ـ ٢٢٣٧١١٣

سرشناسه: مصطفی بوهندی
عنوان و پدیدآور: أكثر ابوهريره دراسه تحليليه نقديه / مصطفی بوهندی؛ تقديم محمّدرضا المامقانی
مشخصات نشر: قم: دليل‌ما، ١۴٢٧ ق. = ١٣٨٥.
مشخصات ظاهری: ١۴٨ ص.
شابک: 978 - 964 - 397 - 204 - 2
وضعیت فهرستنویسی: فاپا
یادداشت: عربی
یادداشت: چاپ قبلی: قم: دارالغدیر، ١۴٢۴ ق. = ١٣٨٢
یادداشت: افست از روی چاپ موسسه المومل الثقافیه
موضوع: ابوهریره، عبدالله بن عامر، ٢٠؟ قبل از هجرت - ۵٨؟ ق. -- نقد و تفسیر.
شناسه افزوده: نجفی، عبدالله، مقدمه نویس
رده بندی کنگره: ١٣٨۵ ٩ ب ٢٧ الف / ۵/ ٣٢ BP
شماره رده دیویی: ٢٩٧/ ٩۴٢
شماره کتابشناسی ملی: ١٨٣٢٨ - ٨۵ م

قال الله تعالى:

﴿ ..أَ فَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لاٰ يَهِدِّي إِلّاٰ أَنْ يُهْدىٰ فَمٰا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُون ﴾[1]

سورة يونس (١٠): ٣٥.

---

١) جاء في تفسير القمي رحمه الله ٣١٢/١ عن الإمام الباقر عليه السلام ذيل هذه الآية الكريمة: «.. فأمّا من يهدي إلى الحق.. فهم محمد وآل محمد من بعده، وأمّا من لا يهدي إلّا أن يهدى.. فهو من خالَفَ ـ من قريش وغيرهم ـ أهلَ بيته من بعده..».

وفي تفسير العياشي ١٢٢/٢ حديث ١٨ ـ وعنه في بحار الأنوار ٩٩/٣٦ حديث ٤٢ ـ إنّ المراد منها أمير المؤمنين عليه السلام.. ولا شك أنّ غير المعصوم لا يهدي إلّا أن يهدى.

مقدمة الطبعة الأُولى

ديباجة

الحمد لله على آلائه، والشكر له على نعمائه، والصلاة ـ بقدر علمه ـ على محمد ﷺ وآله.. أئمة الهدى، ومصابيح الدجى.. وأعلام التقى.. وكلمات الله الحسنى، وعلى الطيبين من صحبهم والطاهرين من تابعيهم بإحسان.. إلى يوم لقاء الرحمن..

وبعد؛

هناك الكثير ممّا يمكن أن يقال؛ والأكثر ممّا يمكن أن يعلّق وينقد؛ في صلب بحثنا هذا أو ما يقارنه أو يقاربه ويلازمه.. أو فيما يمكن أن

يتمخض منه ويستدرك عليه.. إذ الموضوع ذو فنون، والحديث ذو شجون.. وحيث لا يسعني عدم إجابة سؤلة من يعزّ عليّ ردّه، وقناعتي بلزوم مدخل لمثل هذه الكتب عند نشرها في وسط غريب عنها.. أو لزوم تدارك بعض ما غفل عنه.. لذا بادرت لسرد سطوري هذه.. وأنا حائر في كيفية شروعي ومن أين أبدأ.. وعلا مَ أُعلّق.. إذ ما يمكن أن يقال هنا كثير، وما ينفع قليل.. إلّا أنّ الذي أرتأيه فعلاً ـ بل قد لا يسعني في تقديمي هذا وبمثل هذه العجالة ـ إلّا أن يكون حديثي ضمن محاور ثلاث، هي:

أولاً: في عنوان المؤلَّف (الكتاب).
ثانياً: مجمل ما عرّف به الرجل على لسان أهل البيت عليهم السلام وغيرهم.
ثالثاً: دردشة مع المؤلِّف (بوهندي).

وقبل كل ذا وذاك أجد من الضروري أن أُلمح ـ ولو مجملاً ـ عن حياة هذا الرجل وما فيه، مع إقراري سلفاً بأنّ مثل هذا العمل بحاجة إلى دراسة واسعة، وإحاطة تامة، ومجال أوسع.. مع ملاحظة الظروف البيئية والسياسية، والجوانب التاريخية والأسرية.. له وعليه.. وما إلي ذلك؛ ممّا له دور مهم في استيعاب شخصية الرجل قبل شخصه..

وعلى كل حال؛ فكان من المحبّذ ـ قبل الخوض في الحديث عن النقاط الثلاث السالفة ـ أن نقول:

* أبو هريرة[١] الدوسي[٢]

(٢١ ق هـ ـ ٥٩ هـ)[٣]:

قيل: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي الأزدي المدني إقامةً ووفاةً، وله من العمر ثمان وسبعون سنة.

---

١) الهريرة ـ على وزن فُعَيْلَة ـ تصغير الهرّة، وقد صرّح هو في وجه النسبة ـ كما في المعارف لابن قتيبة: ١٢٠ ـ بقوله: كنت أرعى غنم أهلي، وكانت لي هرّة صغيرة فكنت أضعها بالليل في شجرة، وإذا كان النهار ذهبت بها معي، فكنّوني: أبا هريرة.. وفيه: ٢٧٨: قال: وكنّيت أبا هريرة؛ بهرّة صغيرة كنت ألعب بها.

وذهب السيوطي في كتابه الوسائل إلى معرفة الأوائل: ٩٥ إلى القول بأنّ: أوّل من كُنّي أبا هريرة: أبو هريرة، ثمّ قال: ذكره أبو الصلاح في أماليه، والنوري في التهذيب.

وقال الزمخشري في ربيع الأبرار ٣٥٣/٢: قال أبو هريرة: كُنّيت بهرّة صغيرة كنت ألبّ بها، وكان رسول الله صلى‌الله‌عليه[وآله]وسلم يقول له: «أبا هرّ»، ثمّ قال: واختلف في اسمه، فقيل له: عبد الله، وعبد شمس، وعمير، وسكين.

وذكر في القاموس المحيط ١٦٠/٢ أنّ رسول الله ﷺ سمّاه بذلك.. ولا نعلم أيّهما هو فيه صادقاً..! ولعلّه غير هذا وذاك..

لاحظ: معجم الألقاب والأسماء: ٣٣٦.. وغيره.

٢) إنّما نسب إلى: دوس ـ وهي إحدىٰ قبائل العرب الجنوبية ـ على قول، وهو من عشيرة سليم بن فهم من قبيلة الأزد.

قال في العين ٢٨٣/٧، والدوس قبيلة، وأبو هريرة منهم، ولاحظ: لسان العرب ٩٠/٦.

وفي مجمع البحرين ٧٢/٤ قال: ودوس قبيلة من الأزد، قاله الجوهري، ومثله في جمهرة اللغة لابن دريد ٦٤٩/٢، وزاد قوله: وكلّ شيء وطئته فقد دسته.

٣) وقيل: سنة ٥٧، كما في المعارف لابن قتيبة: ٢٧٧. ولا يتمّ ذلك؛ إذ أنّ من المتفق عليه أنّه صلّى

←

ولا يعرف تاريخ الإسلام ولا قبله من اختلف في اسمه الذي سمّاه به أهله واسم أبيه ـ على نحو التحقيق ـ مثله، ومن هنا قال في أُسد الغابة[١]: وقد اختلف في اسمه اختلافاً كثيراً لم يختلف في اسم آخر قبله ولا يقاربه.. ومثله في الاستيعاب[٢] بزيادة: ..وقد غلبت عليه كنيته فهو كمن لا اسم له غيرها..[٣]

قال النووي: اختلف في اسمه واسم أبيه على نحو من ثلاثين قولاً..

وقال الفيروزآبادي: واختلف في اسمه على نيّف وثلاثين قولاً..

وقال القطب الحلبي: اجتمع في اسمه واسم أبيه أربعة وأربعون قولاً..[٤]

والمشهور ما ذكرناه، إلّا أنّ ابن قتيبة قال[٥]: اختلف في اسمه وأكثروا، فقال الواقدي: هو عبد الله ابن عمرو، وقال غيره.. وذكر عدّة أسماء.

قدم المدينة ـ على ما قاله هو! ـ في السنة السابعة والنبي ﷺ في خيبر[٦].

أسلم بعد خيبر ـ وكان أُمّياً إلى آخر عمره! ـ وعليه فلم تتجاوز

← على عائشة في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين، وعلى أُمّ سلمه في شوال سنة تسع وخمسين..!! وخالف الذهبي في كل هذا، كما في سير أعلام النبلاء، فراجع، كما أنّ من المسلم عندهم أنّه لم يدرك الستين.

١) أُسد الغابة ٥/٣١٥ـ٣١٦.

٢ الاستيعاب (القسم الرابع): ١١٧٠ ـ ١١٧١ [طبعة الهند ٢/٧١٨ـ٧١٩].

٣) وقد ذكر في صفة الصفوة ١/٢٨٥ أكثر من ثمان عشر قولاً.

٤) الإصابة ٧/١٩٩.

٥) المعارف: ٢٧٧.

٦) كما حكاه عنه ابن قتيبة أيضاً في المعارف: ٢٧٨.. وغيره.

صحبته السنتين ـ لو صحت! ـ ووضع من الحديث على لسان رسول الله ﷺ ما جاوز مجموع ما رواه غالب الصحابة عنه ﷺ!! وقد صحب رسول الله ﷺ على ملء بطنه[١] كما حدّثنا هو، واستعمله عمر على البحرين، ثمّ جلده بعد أن عزله[٢]! وولي إمرة المدينة أيّام معاوية مدة.

قال أبو جعفر[٣]: وأبو هريرة مدخول عند شيوخنا غير مرضي الرواية، ضربه عمر بالدرّة، وقال [له]: قد أكثرت من الرواية، وأحرّ بك أن تكون كاذباً على رسول الله ﷺ.. ثمّ ذكرت عدّة طعون فيه.. وهي كثيرة رواها عن المعارف لابن قتيبة[٤]، وغيره[٥].

---

١) كما في فتح الباري ١٣/٢٧١ ـ ٢٧٢.. وغيره.

٢) انظر عنه: كتاب شرف الدين ﷺ ومحمود أبو ريّة.. وغيرهما ممّن كتب عنه مستقلاً. فقد أغنونا عن كل ما يمكن أن يقال فيه، وإن لم يكن فيهما استيعاب ـ حسب ذكري ـ حيث قرءت بعضهما من قبل أكثر من ربع قرن.

٣) كما رواه ابن أبي الحديد في شرحه على النهج ٤/٦٧ ـ ٦٨، وهو شيخه، وأورده في هامش كتاب الإيضاح للفضل بن شاذان الأزدي: ٤٩٥.. وغيره.

٤) المعارف: ١٢١.

٥) قال ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ١٢/٤٢: كان عمر يصادر خونة العمال!.. وصادر أبا هريرة وأغلظ عليه، وكان عامله على البحرين... ثمّ قام إليه بالدرّة فضرب ظهره حتى أدماه، ثمّ قال له: ائت بها..

ولاحظ أيضاً: حلية الأولياء ١/٣٧٦، وتهذيب الأسماء واللغات ٢/٢٧٠، سير أعلام النبلاء ٢/٤١٧، التهذيب ١/٢٦٢ ـ ٢٦٣، تاريخ الإسلام: ٣٣٣، وصفة الصفوة ١/٢٨٥، الغدير ١/١٤.. عن عدّة مصادر.. وغيرها.

وانظر: هامش كتابنا هذا (أكثر أبو هريرة) من صفحته: ٤٣ [من طبعة قم، وفي الطبعة الثانية: ٢٣]، ولنا عليه ملاحظات.

ثم لنعد إلى ما وعدنا به فنقول:

أمّا أولاً:

إنّي إنّما أحببت الحوم حول عنوان الكتاب الموجز والمجمل: (**أكثر أبو هريرة!!**) لا كي أدرسه من الناحية السندية، إذ أنّ مثل هذا عندهم عقبة كؤود لا يمكن أن تتجاوز، ولجّة لا يصح أن تقتحم.. بل يمكن الحديث عن القرآن وقراآته مثلاً.. دون الصحاح وزلّاته..!!

كما لا أتحدّث في جوانبه الدلالية، إذ هو بيّن المدلول واضح المفهوم.. وإنّما أودّ أن أصبّ حديثي حول (فقه الحديث) لكلمة (أكثر) وما فيها.. وفقه الحديث غالباً ما يتجاهله الباحثون والمحققون، مع ما له وفيه من أبعاد مفهومية ولوازم علمية، وثمرة عملية.. لا تخفى عند أهلها..

وعلى كل؛ أنّ الملاحظ عليه ما يلي:

أولاً: إنّ صيغة (أفعلَ) هنا تفيد المبالغة، وهي لو جيء بها قد تفيد الذمّ[1].

---

١) كما في قول الإمام الباقر عليه السلام لعبد الله بن الحسن ـ بعد أن سمع منه أنّه قد سبّه، وقال له: «ما جاء بك يا عبد الله؟!» قال: أنت الذي تدّعي ما تدّعي! ـ: «ويلك، قد أكثرت!»، كما في دلائل الإمامة: ٢٤٢ [من الطبعة المحققة، وفي صفحة: ١٠٩ من الطبعة الأُولى]، إثبات الهداة ٣١٩/٥ حديث ٨٧، مدينة المعاجز: ٣٤٠ برقم ٦٢.. وغيرها.

بل قد فهم أبوهريرة منها الذمّ حيث حكاها لنا بنحو التشكي والتأثر.. وحاول توجيهها لنا أو ردّها مدافعاً عن نفسه.

أقول: الكثرة ـ بالضم فالسكون ـ والكثير واحد، ويتعدى بالتضعيف والهمزة، فيقال: كثرته وأكثرته، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا.. ﴾[١].

والكثرة نقيض القلّة، ويقال: أكثر الرجل.. أي كثر ماله، أو أتى بالكثير..

وقيل: كثر الشيء وأكثره: جعله كثيراً، وأكثرت الشيء وكثرته.. جعلته كثيراً.

وعن ابن السكيت: فلان مكثور عليه: إذا أنفد ما عنده وكثرت عليه الحقوق.

ويقال: رجل مكثار وامرأة مكثار.. وهما الكثير الكلام، كما أنّ المكثور، من كثرت عليه الحقوق والمطالبات.

وفي حديث الإفك:..ولها ضرائر إلّا كثرت فيها.. أي كثرت القول فيها والعنت لها، وفيه أيضاً:..وكان حسّان ممّن كثر عليها.. قاله في اللسان[٢].

هذا؛ وإنّ من الواضح أنّ الكثرة عند الإطلاق تحتاج إلى متعلق .. وصرفها إلى خصوص الإكثار في الكلام يحتاج إلى قرينة صارفه ـ مقالية أو حالية ـ ولولا ورود أمثال قولهم: أكثر الرجل.. أي كثر ماله، لأمكن

---

١) سورة هود (١١): ٣٢.

٢) لسان العرب ١٣١/٥ ـ ١٣٤.

انظر: كتاب العين ٣٤٨/٥، والصحاح ٨٠٢/٢ ـ ٨٠٣، ومجمع البحرين ٤٦٩/٣.. وغيرها.

صرفها إلى خصوص كثرة كلامه، وكذا أُفيد منها معنى الذمّ خاصة.. وعليه تصبح مشتركاً معنوياً تحتاج إلى قرينة معينة، ومع عدمها لا يمكن الجزم بالتعيين.. ولا ينافي مثل هذا من كون الاستعمال أعمّ من الحقيقة والمجاز في خصوص الإكثار وعموم المدح والذمّ، ومع غض النظر عن كل هذا، فإنّ هنا قرينة مقامية في إرادة خصوص الذمّ، وكونه كلاماً لا مالاً ولا غيره.

ثانياً: إنّ من يكثر من الخير والإحسان و.. لا يستغرب منه ولا يعترض عليه؛ إذ ما المانع من أن يكثر الرجل في الحق؟ إنّما هنا إكثار سلبي فيه نوع استنكار، كما ويحوي نوع تهكّم وتهجّم.. ولسانه لسان لؤم وتقريع.. بل اتهام.

ثالثاً: يوحي الخبر ـ بادي ذي بدء ـ ما كان عليه التحدّث يومذاك من خوف وملابسات، مع ما أُحيط به من جوّ خانق.. وحرص وحراسة من النظام الحاكم على هذا الرجل كي لا يمس أو يطعن بشكل صريح.. ولذا فقد أُسبغ عليه هالة من القدسية والعظمة.. وهذا أقلّ ما يمكن أن يقال فيه.. والعاقل تكفيه الإشارة.. بل لعلّ الحديث مبتور.. وما بقاء مثل هذه الوجيزة من الكلام إلّا وفيها نوع من الإعجاز.. حفظت بيد غيبية لتعرّف لنا الرجل وما فيه وتبقي الحقّ لأهله، مثلها مثل: (إنّ الرجل ليهجر..)، أو: (ماتت فاطمة [عليها السلام] وهي واجدة على أبي بكر..)، و..

ولنتسائل: لماذا قيل فيه دون غيره؟!

ولماذا اقتصر على هذا المقدار ولم يتجاوزوه أو يوضّحوه لنا..!؟

ولِمَ لم يرد مثل هذا في غيره ممن أكثر..!؟ ولِمَ.. ولِمَ..؟

فلابدّ ـ والحال هذه ـ من أن يكون ذلك في رواياته وحديثه دون أحواله وتاريخه، وإنّه في أكثر من واقعة وقصة، ومن أكثر من صحابي ومحدّث..

والعنوان لوحده لو لم يكن يفيد معنى سلبيّاً، فإنّ القرائن المحيطة به من: (تقوّل الناس له..)، وتصريح الرجل بنفسه بذلك.. بل قوله: (والله الموعد)[1].. وغيرها لكان فيها معنى خاصاً، ورمزاً موهماً مشيناً[2]..

أوّلاً: لما فيه من تغطية على الواقع آنذاك.

وثانياً: عن وجود موج عارم يدين إكثار هذا الرجل في الحديث ويحاكمه ويحكم عليه[3].

---

١) كما في صحيح البخاري (كتاب المزارعة) حديث ٢١٧٩، ومسند أحمد بن حنبل، باقي مسند المكثرين حديث ٦٩٧٦.. وغيرهما.

٢) انظر: صفحة: ٤٥ ـ ٤٦ [من طبعة قم، وفي الطبعة الثانية: ٢٤ ـ ٢٥]، من هذا الكتاب، وكذا صفحة: ٤٧ [وفي الطبعة الثانية: ٢٦].

٣) روى في الإيضاح للفضل بن شاذان الأزدي: ٦٠ عن أنس بن مالك، أنّ عمر بن الخطاب خفق رأس أبي هريرة بالدرّة، وقال له: أراك قد أكثرت الرواية عن رسول الله ﷺ ولا أحسبك إلّا كاذباً فلا تعد.. ومثله في الصراط المستقيم للبياضي ٢٤٨/٣.. وغيرهما.

ومثله ما روي من قول مروان له: والله إنّك أكثرت على رسول الله ﷺ الحديث فلا نسمع منك ما

←

وثالثاً: تقل بعض هذه الأحاديث منه يكشف عن توجه الرجل لما في حديثه من تهافت وزيغ.. فبادر لنقل هذه التقولات عليه كي يصدّ قول من قال ضمناً.. ويتظلّم لنفسه فعلاً!

هذا؛ مع أنّ الملاحظ على هذا الرجل خاصة ـ غير ما هو المشهور عنه ـ أمور قلّما تجدها في غيره من الصحابة والتابعين..

منها: القدرة الكبيرة والخلاقية العالية على خلق الأساطير، ووضع قصص وهمية وأخبار عجيبة عن الأمم السالفة، أو ربط حوادث بغيرها، أو إصدار أحكام مع استدلالاتها و.. قلّ من يكون موفقاً مثله فيها.

ومنها: إبراز نفسه بشكل فني بواسطة خلق شخصية كاذبة خارجة منه داخلة فيه، ومدح نفسه بنفسه من دون أن يشعر بذلك الآخرون.. وبمهارة فائقة وفن.. مع كلّ ما فيه من نواقص خُلقية وخَلقية تمنع من أن يسبغ عليه هذا النوع من القدسية.. كسبق في الإسلام، أو تقدم في الهجرة، أو الخوض في ساحات الوغى والجهاد، أو.. أي فضيلة يمكن فرضها تدخله في ساحة التقديس والتكريم، ابتداءاً من (الصفّة) التي خلقها بنفسه إلى

← تقول، فهلّم غيرك يعلم ما تقول.. طبعاً قالها عندما شهد لأمير المؤمنين والإمام الحسن عليهما السلام، كما جاء في ترجمة الإمام الحسن [عليه السلام] من طبقات ابن سعد: ٩٢ ـ ١٣.

وقد أخرج ابن عساكر من حديث السائب بن يزيد أنه سمع عمر يقول لأبي هريرة: لتتركنّ الحديث عن رسول الله أو لألحقنك بأرض الدوس.. كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣٠٦/٢ [الطبعة الأولى]، وسير أعلام النبلاء ٤٣٣/٢، والبداية والنهاية ١٠٦/٨ [طبعة مصر].. وغيرها.

(الهرة).. وانتهاءاً بـ: (درّة عمر) على ظهره، وسرقته لأموال البحرين.. وجلوسه على طاولة الظالمين، وإمضائه لكلّ جرائم الغاصبين والمجرمين، مع ما له من ارتباطه باليهود والنصارى والمنحرفين.. والأدهى وضع أحاديث في أحكام الدين وشريعة سيد المرسلين، وكذا الحطّ في عباد الله الصالحين، خاصة الأنبياء والوصيين، وعلى رأسهم سيّدهم أمير المؤمنين عليه السلام..![1]

ومنها: إنّا لم نجد من الصحابة طرّاً والتابعين كلاً ـ عدا وعاظ السلاطين وأبناء الزمان ـ من مدح لنا الرجل أو قال فيه ما ينفع، ولم يذكر له سوى ما قاله هو عن نفسه من كونه كان ملازماً وحافظاً.. وغيره ممّا لم يشهد له به أحد. ألا تراه وهو يقول (فكنت ـ والله ـ أعلم الناس بحديثه!!) ناسياً أو متناسياً مدينة العلم.. ونفس رسول الله صلى الله عليه وآله.. وحامل علمه ووصيه..

ولابدّ له أن يزعم مثل هذا ويتقوله كي يبرر لنا (إكثاره) ويحكم ضمناً بجهل غيره حتى مثل عائشة شريكته في المسير.

بل الملاحظ؛ إنّ كثيراً من متفرداته الروائية كانت يومذاك محطّ بحث وجدل وإنكار وردّ.. ولا أقل تردد وشك.. بل طالما ردّ عليه بعض من له ضمير حرّ.. أو تضاربت مصالحه وتضررت، كما في قصة مروان بن الحكم، وعائشة و.. ثمّ كمّم التاريخ أفواه الباقين، ومحتها دراهم الحكام ودنانيرهم..

---

١) قال ابن شاذان ـ في الإيضاح: ٤٩٦ ـ: وكان يقوم بالمدينة فيلعن علياً وعلي بالشام، ثم قال: ..فلمّا بلغ معاوية قوله في علي عليه السلام أكرمه وأجازه وولاه المدينة!

والذي أخاله ـ والله أعلم ـ إنّ سيطرة الفقر العلمي واحتواء الجهل المطبق لعامة المجتمع وخصوص الهيئة الحاكمة.. نتيجة إقفالهم باب مدينة العلم، وإقصائهم لمن يدور الحق معه حيثما دار، وابتعادهم عن المنهل الروي لرسالة السماء.. مع عدم وجود نماذج علمية حيّة، أو مُثل سلوكية واقعية في الساحة لا تماشي الوضع ولا تقرّ فعل العتاة، أو تقف أمام انحرافات السلطة ولا تمضي للحكام أفعالهم، أو تصدّق لهم كلّ مظلمة.. ممّا أباح لأمثال هؤلاء كي يظهروا في الساحة لما حضوا به من دعم مكثّف من الحكام مع إسباغ طابع العظمة والقدسية عليهم ماداموا يحفظون لهم كراسيهم، ويصححوا لهم أحكامهم وأفعالهم.. ففي الوقت الذي يضرب عمار.. ويبعّد أباذر.. ويداس ابن مسعود، ويفتق حتى يموت على فراش المرض و.. عدا حرمان المجتمع من باب حكمة رسول الله ﷺ ووصيه ووارث علمه وخليفته.. تلك الجريمة التي لا تقاس بها مظلمة.. ولا تقاربها مصيبة.. يسمح لأمثال هؤلاء أن يعيثوا في الأرض فساداً، ويصدّوا عن سبيل الله ويغيّروا أحكامه، ويتقوّلوا ما شاؤوا في فتاويهم على طبق أهوائهم وما تمليه عليهم السلطة.. ولا مانع ولا رادع..

وعندما تجد الرجل قد منع من (القصّ والتحديث) فقط ـ دون غيره ـ.. ولمدة وجيزة جدّاً لا مطلقاً، وعلى عهد عمر وعثمان ـ كما قيل ـ فذلك لأدلة أملتها ظروف زمنية موقتة.

منها: إفراطه في الخلق والتزوير ممّا خيف من فعله ذاك سقوط كل ما

رواه سابقاً ممّا ينفع الظُلّام.. قامت عليه أعواد منابر الوعاظ؛ فأصبح سنداً لشرعية الحكام.. أمّا ما عدا ذلك من أحكام الله وسننه.. فقد أُضيء للرجل وأمثاله الضوء الأخضر كي يقولوا فيها ما شاؤوا، ويفتروا ما أحبّوا..

ومنها: قد أسبغ قدسية وشرعية على عمله وتحديثه ممّا لم يعرف لغيره مثل ذلك، مع ما في ذاك من طعن خفي بالصحابة جمعاً؛ إذ عندما يبرر إكثاره في الحديث بحرمة كتمانه للعلم فإنّه يعرّض بالآخرين بشكل مبطن، وكأنّ غيره كان كذلك..

هذا؛ لم نعرف من التاريخ الروائي أنّ الرجل كان يوماً ما مرجعاً لأحد من الصحابة مثله مثل أُبيّ بن كعب في القراءة، أو ابن مسعود في القرآن، أو عبد الله ابن عباس في التفسير، أو حذيفة في الملاحم والفتن.. أو أشباههم.. وهو الذي حكم على الجميع أنّهم انشغلوا بالصفق في الأسواق! وجمع الأموال!.. وغير ذلك.

وبعد كل هذا؛ فالغريب حقّاً درك وجه ارتباط هذا الرجل بـ: (كعب الأحبار) و(عبد الله بن سلام) و(بصرة بن أبي بصرة) و(وهب) و(تميم).. وأمثالهم، وغالبهم من اليهود خاصة! بل من أعلامهم، وما دور هؤلاء في الحديث النبوي المروي من طريقهم أو طريقه عنهم!! ولماذا لا يشكّك في هؤلاء وما رووه مع أنّهم صاروا بعد ذلك من الصحابة، بل من مشايخهم!! وهم الذين أشبعوا هذه الأُمّة نقلاً لأخبار بني إسرائيل

المحرّفة من الأوابد والغرائب والعجائب ممّا كان ولم يكن!.. ما حرّف أو بدّل ونسخ.. والأغرب من كل هذا وأعجب أنّ غالب هؤلاء أسلموا أيّام عمر..! مع أنّهم عاصروا زمن الرسالة على صاحبها آلاف التحية والثناء ولم يسلموا..! ولم يعرف عنهم إلّا موقفهم المضاد للرسالة الإلهية بشكل صريح!.. ومع ذلك حكم عليهم بالصحبة، ورووا عن رسول الله ﷺ موهمين الإسناد في أحاديثهم! والسماع منه ﷺ عند إخباراتهم.

ونعم ما أفاد الأخ الدكتور حين قال[1]: إنّ رحلة أبي هريرة إلى الطور كانت من أجل عرض أحاديث رسول الله صلى الله عليه [وآله] وسلم على كعب الأحبار ليصدّقها بالتوراة!.. ولقد نجح أبو هريرة في مهمته ـ رغم خداع كعب! ـ وصدّق ما يحمله من أحاديث بما في توراة كعب، ثمّ قفل راجعاً من حيث أتى..!

ثم قال: إنّ رحلة أبي هريرة وكعبه وطوره وما تحمله من رمزية إسرائيلة.. لتجعل من معابد اليهود قبلة لنا تشدّ إليها الرحال، ومن أحبارهم علماء لنا تعرض عليهم الأخبار، ومن كتبهم ميزاناً لما عندنا يقوم بدور التصديق والهيمنة..؟

وهذا كلام جيّد لا غبار عليه، ونحن نقرّه ونؤمن به.. ولنا عليه أكثر من شاهد ودليل إلّا أنّ لنا أن نتسائل أنّه لو قبح مثل هذا ـ وهو قبيح ـ، وإن كان مشيناً مزرياً بل جرماً.. وهو كذلك، فلماذا لا يقال مثله على

---

١) الكتاب الذي بين يديك: ١٠١ [من طبعة قم، وفي الطبعة الثانية: ٦٦].

الخليفة الثاني حين كان يسائل كعباً ويستوضحه..[١]

---

١) من المسلم به تاريخياً أنّ كعباً صاحب الخليفة الثاني في سفره إلى بيت المقدس، ولا أقلّ كان معه هناك، وكان موضع مشورته قطعاً، لاحظ: شرح المواهب ٢٩٩/٨، كما وقد نصّ عليه الطبري في تاريخه ٢٤٠٨/١.. وغيرهما، وبالتحديد سنة ٦٣٦ ميلادية، كما صرّحت به موسوعة الإسلام ـ النسخة الانجليزية.

وطالما قال الخليفة الثاني: القول ما قال كعب..! كما أورد ذلك الطبري في الرياض ٧٥/٢، وحكاه عنه العلامة الأميني في الغدير ٦٠/٥.. وغيره.

وقد اتّهم كعب بالتهوّد حين تعامل مع جبل الهيكل في القدس كمكان مقدس.. كما ذكره الطبري ـ أيضاً ـ في تاريخه ٢٤٠٨/١ ـ ٢٤٠٩. بل سأله الخليفة: أين ترى أن نجعل المصلى؟! ـ وكأيّ يهودي معتقد مؤمن ـ قال: إلى الصخرة!!.. فقال له عمر: ضاهيت ـ والله ـ اليهودية يا كعب! وقد رأيتك وخلعك نعليك.. إلى آخره؛ كما في تاريخ الطبري ٦١١/٣.. وغيره، وهذا مثل أعلى للانتهازية اليهودية..!

فالخليفة يعرف بقاءه على اليهودية، ومع هذا يسآله؟!! بل قال له: يابن أُمّ كعب، ضارعت اليهود، كما نصّ عليه ابن كثير في البداية والنهاية ٥٩/٧ ـ ٦٠، وانظر: تاريخ الطبري ٦١٢/٣.

والأدهى ما حكاه ابن سعد ـ كما أورده في الطبقات الكبرى ٧٩/٧ [١١٠/٧ دار الصادر] ـ عن رجل دخل المسجد فإذا عامر بن عبد الله بن عبد القيس جالساً إلى كعب، وبينهما سفر من أسفار التوراة وكعب يقرأ..!!

وهذا في المدينة..! وفي المسجد النبوي..! وعلى مرأى جميع الأصحاب حتى الخليفة..!!

ولم يقتصر سؤال عمر من كعب على ما حدث في المسجد الأقصى، بل تكرّر ذلك منه أكثر من مرّة.

انظر: تفسير فرات الكوفي: ١٨٣ حديث ٢٣٥.. وغيره. فمثلاً؛ قد سأله عن العرش؟ وأين كان الله قبل أن يخلق العرش؟ كما في تنبيه الخواطر ونزهة النواظر (مجموعة ورام) ٥/٢ حديث ٢٣٥، وعنه في بحار الأنوار ١٠١/٣٠ ـ ١٠٣ حديث ٦، وقد ردّه أمير المؤمنين عليه السلام بشكل رائع.

أقول: رغم شك عمر الواضح في تصرفات كعب اليهودية التي لا لبس فيها نجد أنّ كعباً رافق الخليفة الثاني إلى القدس، وبادر إلى استشارته عن عدّة أُمور منها؛ موضع الصخرة والقبلة، وكذا

←

أو الخليفة الثالث حينما كان يستفتيه ويحكم بحكمه.. بل يضرب أبا ذر[1] لصرف مخالفته مع هذا العمل.. ويطرده من مسجد

← في بناء المسجد (مسجد عمر) في فلسطين..!!

والغريب أنّه كيف استطاع كعب ـ وهو ابن يومه في الإسلام ـ أن يكون له مثل هذا الدور الخطير في عهد عمر.. فهو بلا شك استطاع أن يلبّي غرور عمر بخلق أحاديث اسرائيلية عن أنبياء يهود؛ بشّروا بالفاروق.. وفتحه للشام وعظمته و..!!

وكذا تنبّأ كعب قبل ثلاثة أيّام من قتل الخليفة بالواقعة وموته، وكرّرها عليه أكثر من مرّة، ولذا قال عمر قبل وفاته:

تـوعّد فـيّ كـعب ثـلاثاً أعـدها ولا شك أنّ القول ما قال لي كعب

كما في تاريخ الطبري ١٩١/٤، الكامل لابن الأثير ٥٠/٣، طبقات ابن سعد ٣٣١/٣، تاريخ ابن كثير ٥١/٣، مسند أحمد بن حنبل ٤٨/١ ـ ٥١.. وغيرها.

كل هذا يكشف عن علاقة وطيدة وغير طبيعية له مع عمر.

وقولة عمر لكعب الأحبار ـ كما في تاريخ أبي زرعة الدمشقي ٥٤٤/١ ـ: لتتركنّ الأحاديث أو لألحقنّك بأرض القردة.. قضية في واقعة، لا نودّ الخوض في تفصيلاتها، إلّا أنّنا أقحمنا الحديث عن كعب ودوره مجملاً كي ندعو الباحثين لدراسة عن نموذج صغير ممّن كان يعطي خطاً رسالياً للسلطة الحاكمة..!!

١) أقول: لا بأس بالإشارة إلى بضع روايات فيما يخصّ موضوعنا هذا، مثل ما سأل عنه عثمان يوماً: أيجوز للإمام أن يأخذ من المال، فإذا أيسر قضى؟!

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك!

فقال أبو ذر: يا ابن اليهوديتين [خ.ل: اليهودي]! أتعلمنا ديننا؟!

فقال عثمان: ما أكثر أذاك لي.. وأولعك بأصحابي؟! الحق بمكتبك بالشام، ..حيث كان يقدم حاجاً ويسأل عثمان الإذن له في العودة إلى المدينة ومجاورة قبر رسول الله ﷺ..! بعد أن أبعده الخليفة عن دار الهجرة..!

انظر: الشافي للسيد المرتضى ٢٩٤/٤، تاريخ اليعقوبي ١٦٢/٢، مروج الذهب ٢٤٠/٢، شرح

←

رسول الله ﷺ..!![1]

← النهج لابن أبي الحديد ١/٢٤٠ و ٢٤٢، و ٢/٣٥٦، الغدير ٨/٢٩٣ و ٣٠٣.. وغيرها.

وفي لفظ المسعودي: سأل عثمان: أرأيتم من زكى ماله هل فيه حقّ لغيره؟

فقال كعب: لا يا أمير المؤمنين..! فدفع أبو ذر في صدر كعب، وقال له: كذبت يابن اليهودي؟.. ثم تلا: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا..﴾[سورة البقرة (٢): ١٧٧].

لاحظ: تاريخ الطبري ٥/٦٧.. وغيره.

وفي حديث: فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أُمورنا ونعطيكموه؟! فقال كعب: لا بأس بذلك..! فرفع أبو ذر العصا فدفع بها في صدر كعب، وقال: يابن اليهودي! ما أجرأك على القول في ديننا؟

فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي؟ غيّب وجهك عني فقد آذيتني!

وحكي عن أبي ذر أنّه قال له: يابن اليهودية! متى كان مثلك يتكلم في الدين؟ فوالله ما خرجت اليهودية من قلبك، كما في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣/٥٣، و ١٣/١٦٧، وتفسير علي بن إبراهيم القمي ١/٥١.. وغيرهما.

وفي واقعة أُخرى صدّق بها الخليفة وأقرّه على فعله حينما جيء للثالث بأموال عبد الرحمن بن عوف الزهري ـ وكانت كثيرة ـ حيث ضربه أبو ذر وقال له: يا ابن اليهودي! تقول الرجل مات وترك هذا المال: إنّ الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة..!؟ وتقطع على الله بذلك! أوما سمعت رسول الله ﷺ.. إلى آخره.

كما حكاه في الغدير ٨/٢٩٦، ولاحظ: صفحة: ٣٥١ و ٣٦٧ ـ ٣٦٨، عن عدّة مصادر، وقريب منه في مسند أحمد ١/٦٣.. وغيره.

١) وإليك نماذج من تقوّلات الرجل وأحكامه السخيفة، وهي كثيرة منها:

سئل كعب عن السلطان فقال: ظلّ الله في أرضه، من ناصحه اهتدى ومن غشه ضلّ..! كما في رسالة الحقوق: ٣٨٢.

←

← ورووا أنّ كعب الأحبار رأى جرير بن عبد الله البجلي واضعاً إحدى رجليه على الأُخرى، فقال: ضعها، فإنّها لا تصلح للبشر، إنّ الله تبارك وتعالى هكذا يجلس..! كما في الإيضاح للفضل بن شاذان: ٢٥ ـ ٢٦.

ذكر ابن كثير في تاريخه ٩٧/١ ما ورد عن كعب الأحبار أنّه قال: ليس أحد في الجنة له لحية إلّا آدم! له لحية سوداء إلى سرته!!

وقد ذكر بعض إرهاصاته في التنبأ من التوراة بخلافة عمر، ومظلومية عثمان..!!

وممّا يضحك الثكلى هو ـ مع علمه بهذا ـ أنّه أسلم أيّام عمر!؟ وهو القائل بأنّ أبا بكر أوّل من أسلم..!! وقد علّل تأخرّ إسلامه بأمر مضحك جداً.

وأخرج ابن أبي خيثمة بإسناد ـ حسّنه ابن حجر ـ عن قتادة ـ كما في الإصابة ٣١٦/٣ ـ قال: بلغ حذيفة أنّ كعباً يقول: إنّ السماء تدور على قطب كالرحى.. فقال: كذب كعب، إنّ الله يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ أَنْ تَزُولاَ..﴾ [سورة فاطر (٣٥): ٤١].

وحسبنا في كعب ما أخرجه البخاري ٢٦٧٩/٦ باب قول النبي: (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء..) في حديث الزهري بسنده.. أنّه سمع معاوية يحدّث رهطاً من قريش بالمدينة، وذكر كعب الأحبار فقال: إن كان لمن أصدق هؤلاء المحدّثين الذين يحدّثون عن أهل الكتاب وإن كنّا مع ذلك لنبلوا عليه الكذب.

كما في التهذيب ٤٣٩/٨، والإصابة ٣١٦/٣.. وفي أكثر من مورد، وويل لمن كفّره نمرود!!

وقال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٧٧/٤ [وفي طبعة الحديث بيروت ٧٩٠/١، وفي الطبعة الأُولى ٣٦٢/١]، وعنه العلامة المجلسي ﷺ في بحار الأنوار ٢٨٩/٣٤: وروى جماعة من أهل السير أنّ علياً عليه السلام كان يقول عن كعب الأحبار: إنّه الكذّاب، وكان كعب منحرفاً عن علي عليه السلام.

وقد حكم الإمام باقر العلوم عليه السلام على كعب بالكذب وكونه كاذباً، كما في الكافي الشريف ٢٣٩/٤، وعنه في وسائل الشيعة ٢٦٢/١٣، وبحار الأنوار ٣٥٣/٤٦.

وكم رائع قول العلامة الأميني ﷺ في غديره ٢٧٩/٧: ..على إنّ كعباً لو كان يصدق نفسه فيما أخبره من الإرهاصات والبشائر لما كان يبقى على دين اليهود طيلة حياة النبي ﷺ، وما كان

←

والذي غفل عنه عزيزنا الباحث هو ما ورد من نهي صريح في سنة النبوية عن الأخذ بما جاءت به كتب اليهود والمنع من ذلك بشدة.. بل أخرج البخاري في صحيحه[١] في الاعتصام، باب قول النبي صلى‌الله‌عليه [وآله] وسلم: لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء وغيره عدّة أحاديث..

هذا عدا وجود روايات كثيرة خاصة في هذا المقام؛ نشير إلى بعضها،

منها: ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده[٢] بإسناده عن جابر بن عبد الله: أنّ عمر بن الخطاب أتى النبي صلى عليه[وآله] وسلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه على النبي صلى عليه[وآله] وسلم فغضب فقال: أمتهوّكون[٣] فيها يابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحقّ فتكذّبوا به، أو بباطل فتصدّقوا به، والذي نفسي بيده لو أنّ موسى صلى‌الله‌عليه‌وسلم كان حيّاً ما وسعه [إلّا] أن يتبعني[٤].

← يؤخّر إسلامه إلى عهد عمر بن الخطاب..!

وقال ﷺ [الغدير ٢٨/٧]: ولا يثبت الحق بالكعاب.

﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلاَ أَمَانِيِّ أَهْلِ الْكِتَابِ..﴾ [سورة النساء (٤): ١٢٣].

١) صحيح البخاري ٢٨١/٣ ـ ٢٨٢.

٢) مسند أحمد بن حنبل ٣٨٧/٣ حديث ١٤٨٥٩.

٣) التهوّك هو التحيّر، كما في النهاية ٢٨٢/٥.

٤) وقريب منه ما رواه الهندي في كنزالعمال ٣٧٠/١ حديث ١٦٢٥ باب الاعتصام بالكتاب والسنة ←

ومنها: ما روي عن عبد الله بن ثابت الأنصاري[١] أنّه قال: جاء عمر بن الخطاب إلى رسول الله صلى‌الله‌عليه[وآله]وسلم، وقال: يا رسول الله! إني مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة، ألا أعرضها عليك..؟! فتغيّر وجه رسول الله صلى‌الله‌عليه[وآله]وسلم.

ومنها: ما رواه العقيلي[٢] بإسناده عن جمع، عن البخاري بطرق متعددة، عن خالد بن عرفطة، عن عمر بن الخطاب قال: انتسخت كتاباً من أهل الكتاب فرآه رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم في يدي، فقال: ما هذا الكتاب يا عمر؟! فقلت: انتسخت كتاباً من أهل الكتاب لنزداد به علماً إلى علمنا!! قال: فغضب رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم حتى احمرّت عيناه، فقالت الأنصار: يا معشر الأنصار! السلاح.. السلاح! غضب نبيّكم صلى‌عليه[وآله]وسلم.. فجاؤوا حتى أخذوا بمنبر رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم، فقام رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم

← من كتاب الإيمان نقلاً عن مسند أبي يعلي الموصلي، ومسند أبي المنذر، ومسند ابن أبي حاتم، ومسند العقيلي، ومسند نصر المقدسي، ومسند سعيد بن منصور..: إنّ عمر بن الخطاب أتى رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] بنسخة من التوراة، فقال: يا رسول الله! هذه نسخة من التوراة.. فجعل يقرأ ووجه رسول الله [صلى الله عليه وآله وسلم] يتغيّر.. إلى آخره.

ولاحظ: مجمع الزوائد للهيثمي ١٨٢/١ كتاب العلم، باب الاقتداء بالسلف، مشكاة المصابيح ٥٢/١، شعب الإيمان ١٩٩/١ ـ ٢٠٠ حديث ١٧٦.. وكذا جاءت جملة روايات أُخر في كتاب البياض الإبراهيمي ٤٤/١.. وغيره وغيرها.

١) كما قاله ابن حجر في الإصابة ٢٧٦/٢ ترجمة ٤٥٧٣.

٢) كتاب الضعفاء ٢١/٢ في ترجمة خليفة بن قيس برقم ٤٣٧.

فقال: «إنّي أُوتيت جوامع الكلم وخواتمه، واختصر لي الحديث اختصاراً، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تهيكوا ولا يغرّنكم المتهيّكون..».

ومثله ما روي[١] عن خالد بن عرفطة، قال: كنت جالساً عند عمر... إذ أُتي برجل من عبد القيس، فقال له عمر: أنت فلان العبدي؟ قال: نعم، فضربه بقناة معه، فقال الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! قال: اجلس.. فجلس، فقرأ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ..﴾ إلى قوله: ﴿لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾[٢]، فقرأها عليه ثلاثاً! وضربه ثلاثاً! فقال له الرجل: ما لي يا أمير المؤمنين؟! قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرني بأمرك أتّبعه، قال: انطلق فمحه بالحميم والصوف، ثمّ لا تقرأه ولا تقرأه أحداً من الناس، فإن بلغني عنك أنّك قرأته أو أقرأته أحداً من الناس لأنهكتك عقوبة..

ثمّ قال: انطلقت أنا فانتسخت كتاباً من أهل الكتاب ثمّ جئت به في أديم، فقال لي رسول الله: ما هذا في يدك يا عمر؟.. ثمّ ذكر مثل ما مرّ في الحديث السالف بتقديم وتأخير.. كما عدّ له طرق أُخرى.

وجاء في فتح الباري[٣]: ..من حديث جابر قال: نسخ عمر كتاباً من

---

١) جامع الأحاديث والمراسيل ٢٤٨/١٨ برقم (١٨٨٦).

٢) سورة يوسف (١٢): ١ـ٣.

٣) فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٥٢٥/١٣، وفيه عدّة روايات ذكرنا بعضها.

التوراة بالعربية فجاء به إلى النبي صلى‌عليه[وآله]وسلم فجعل يقرأ ووجه رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم يتغير، فقال له رجل من الأنصار: ويحك يابن الخطاب! ألا ترى وجه رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم؟! فقال رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء فإنّهم لن يهدوكم وقد ضلّوا، وإنّكم إمّا أن تكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل، والله لو كان موسى بين أظهركم ما حلّ له إلّا أن يتّبعني[1]..»، ثم ذكر عدّة روايات بعدّة طرق.

وقال: وأخرجه أحمد والطبراني من حديث عبد الله بن ثابت، قال: جاء عمر فقال: يا رسول الله! إنّي مررت بأخ لي من بني قريظة فكتب لي جوامع من التوراة أعرضها عليك، فقال: فتغير وجه رسول الله صلى‌عليه[وآله]وسلم.. الحديث..

وفيه؛ قوله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لو أصبح موسى فيكم ثمّ اتّبعتموه وتركتموني لضللتم».

ثمّ قال: وأخرج أبو يعلى من طريق خالد بن عرفطة[2]، قال: كنت عند عمر فجاءه رجل من عبد القيس، فضربه بعصا [بقناة] معه، فقال: ما لي يا أمير المؤمنين... قال: أنت الذي نسخت كتاب دانيال؟ قال: مرني بأمرك، قال: انطلق فامحه... فلئن بلغني أنّك

---

١) أقول: وهذا صريح في حرمة النقل عنهم ومعاشرتهم والأخذ منهم مطلقاً.

٢) وذكره مثل هذا السيوطي في الدر المنثور ٥/٦ بعدّة طرق وباختلاف وزيادة كثيرة، ولا غرض لذكرها

قرأته أو أقرأته لأنهكتك عقوبة.

..وذكر مثل ما سلف، إلى أن قال: قال صلى‌عليه[وآله]وسلم: «..ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا».

وفي الدرّ المنثور[1] زيادة: «ولا يغرنّكم المتهوّكون..».

وأخرج عبد الرزاق في المصنف[2]، وابن الضريس، عن إبراهيم النخعي... قال: كان بالكوفة رجل يطلب كتب دانيال وذلك الضرب [كذا]، فجاء فيه كتاب من عمر بن الخطاب أن يدفع إليه، فلمّا قدم على عمر... علاه بالدرّة، ثم جعل يقرأ عليه: ﴿الر تِلْك آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ حتى بلغ ﴿الْغَافِلِينَ﴾[3] قال: فعرفت ما يريد، فقلت: يا أمير المؤمنين، دعني فوالله لا أدع عندي شيئاً من تلك الكتب إلّا حرقته، قال: فتركه.

ثم قال: وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ عن قتادة... ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْك أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ قال: من الكتب الماضية وأُمور الله السالفة في الأُمم ﴿..وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ﴾ أي من قبل هذا القرآن ﴿..لَمِنَ الْغَافِلِينَ..﴾[4].

---

١) الدر المنثور ٥/٦.

٢) كما ذكره في الدر المنثور في التفسير بالمأثور للسيوطي ٥/٤ ـ ٦ (سورة يوسف) [دار الكتب العلمية ـ بيروت].

٣) سورة يوسف (١٢): ١ ـ ٣.

٤) سورة يوسف (١٢): ٣.

وأخرج عبد الرزاق والبيهقي[١] عن أبي قلابة أنّ عمر بن الخطاب... مرّ برجل يقرأ كتاباً، فاستمعه ساعة، فاستحسنه، فقال للرجل: اكتب لي من هذا الكتاب، قال: نعم. فاشترى أديماً فهيأه ثمّ جاء به إليه، فنسخ له في ظهره وبطنه، ثم أتى النبي صلى‌عليه[وآله]وسلم، فجعل يقرأ عليه، وجعل وجه رسول‌الله صلى‌عليه[وآله]وسلم يتلوّن، فضرب رجل من الأنصار بيده الكتاب، وقال: ثكلتك أُمّك يابن الخطاب! أما ترى وجه رسول‌الله صلى‌عليه[وآله]وسلم منذ اليوم وأنت تقرأ عليه هذا الكتاب؟ فقال النبي صلى‌عليه[وآله]وسلم عند ذلك: «إنّما بعثت فاتحاً وخاتماً، وأعطيت جوامع الكلم وفواتحه، واختصر لي الحديث اختصاراً، فلا يهلكنّكم المتهوّكون».

وأخرج ابن الضريس عن الحسن أنّ عمر بن الخطاب... قال: يا رسول‌الله! إنّ أهل الكتاب يحدثونا بأحاديث قد أخذت بقلوبنا، وقد هممنا أن نكتبها، فقال: «يابن الخطاب! أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنصارى؟! أما والذي نفس محمد بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولكني أعطيت جوامع الكلم، واختصر لي الحديث اختصاراً».

وأخرج ابن عساكر عن ابن أبي ملكية قال: أهدى عبد الله بن عامر بن

---

١) كما أورده السيوطي في الدر المنثور ٦/٤٧٠ (سورة العنكبوت)، وانظر: طبعة دار الكتب العلمية بيروت ٥/٢٨٤.

كرز إلى عائشة... هدية فظنت أنّه عبد الله بن عمرو.. فردتها، وقالت: يتتبع الكتب! وقد قال الله: ﴿أَ وَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنا عَلَيْكَ الْكِتابَ يُتْلىٰ عَلَيْهِمْ..﴾[1] فقيل لها: إنّه عبد الله بن عامر. فقبلتها[2].

وإنّما أطلنا في سرد الروايات ـ خروجاً عن وضع المقدمة ـ لا نرى من أهمية الموضوع ومسامحة القوم فيه..

وأمّا ثانياً:

فإنّ للرجل في رواياتنا حديثاً آخر، بل يظهر من بعض كلمات الصحابة أنّ له واقعاً غير ما هو المشهور عنه.. منعهم عن البوح عنه خوفهم من السلطة وحماية الحكام له.. مع (أخف من لا يخاف الله!) و(إذا لم تستح فقل ما شئت!!).

وعلى كل؛ فذاك له مجال واسع في الاستقصاء والجمع، لذا نضطر في هذه الفرصة الخاطفة إلى عدم استقصاء الأخبار الواردة فيه.. بل نشير إلى بعض كلماتهم في المقام.

---

١) سورة العنكبوت (٢٩): ٥١.

٢) انظر: مزيداً عن هذا الموضوع، وما فيه من أحاديث.. الفتح الكبير ١/٤٠١ حديث ٤٣٨٩، تحفة الأشراف ١٣/٢٥٤، كنز العمال ١/٢٢٧٨ حديث ٣١٩٩٤، جامع الأحاديث والمراسيل ٢/٣٩٤ حديث ٦٣٨٨، و ١٨/٢٤٨ حديث ١٨٨٦، مجمع الزوائد ١/١٧٣ ـ ١٧٤ باب ليس لأحد قول مع رسول الله صلى عليه [وآله] وسلم، وفيه عدّة روايات كلاً عن عمر! النهاية لابن الأثير ٥/٢٨٢.. وغيرها.

وهو ـ بعد ذاك ـ معروف في لسان أهل بيت العصمة والطهارة سلام الله عليهم بالكذب والانحراف، وهم صلوات الله عليهم قد أغنونا عن دراسته وتحليله بما عرّفوه لنا، كيف لا.. وهم الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً، وجعل الباري سبحانه التمسك بهم نجاة والتخلف عنهم هوى وضلال..

ولذا ندرج بعض ما قيل فيه من خلال ذكر بعض الروايات الواردة فيه عنهم عليهم السلام، بل نشير إلى جملة ممّا ورد فيه على لسان أمير المؤمنين وسيد الوصيين عليه السلام خاصة:

منها: قوله عليه السلام: «أكذب الأحياء[1]».

ومنها: قوله عليه السلام: «أكذب الناس[2]..» وغيرهما.

---

١) كما رواه ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ٦٨/٤ إذ قال: قد روي عن علي عليه السلام أنّه قال: «ألا إنّ أكذب الناس ـ أو قال: أكذب الأحياء ـ على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي».
وقد أخذه من المعارف لابن قتيبة: ١٢١.
ومثله ما رواه أبو خالد الوائلي، قال: سمعت علياً عليه السلام يخطب وهو يقول: «أكذب الأحياء على رسول الله صلى الله عليه وآله أبو هريرة الدوسي».
قال: وكان يقوم بالمدينة فيلعن عليّاً وعلي بالشام..!

٢) روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أكذب الناس على رسول الله صلى الله عليه وآله: أبو هريرة الدوسي»، كما في بحار الأنوار ٢١٥/٣٣، و ٢٨٧/٣٤.
وقد ورد مكرراً، كما في ترجمة الإمام الحسن عليه السلام من طبقات ابن سعد: ٤١، والإيضاح للفضل بن شاذان: ٦٠، وفي الصراط المستقيم ٢٤٨/٣ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: «أكذب رجل على رسول الله صلى الله عليه وآله هذا الغلام الدوسي».

←

وله عند ثاني الخلفاء وسمة خاصة في مورد خاص ظاهراً، وهو قوله: عدو الله[١]، أو: عدو الله ورسوله[٢]، أو: عدو الله وكتابه[٣]، أو: عدو الله وعدو المسلمين (كتابه)[٤].

كما أنّه عرف بـ: شيخ المضيرة[٥]..

← وقد روى ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ٢٤/٢٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام [ظاهراً] قال: «لا أحد أكذب من هذا الدوسي على رسول الله صلى الله عليه وآله..».

وقد روى له الفضل بن شاذان الأزدي في كتابه الإيضاح: ٥١٨ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال: ..إلّا أنّ في سائر المصادر: الغلام الدوسي، كما في نفس الرحمن: ٥٩٢، والغدير ١٧٧/٦.. وغيرهما.

وقال أيضاً فيه: ٦٤/٤: ..أبي هريرة الدوسي الكذّاب المدني.. وحكاه عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٤٠٣/٣٠.. وموارد عديدة أُخرى.

١) جاء هذا بألفاظ متعددة في واقعة واحدة، وهي ما قاله له ذلك عمر بن الخطاب بعد أن سرق من مال البحرين، وقد رواه غير واحد منهم الفضل بن شاذان في الإيضاح: ٥٣٧.. وغيره.

٢) كما خاطبه بذلك عمر بن الخطّاب، بقوله: يا عدو الله وعدو رسوله.. سرقت من مال الله..!؟ قاله غير واحد منهم الزمخشري في الفائق ١٠٢/١.

وقريب منه في كتاب الأموال لأبي عبيدة: ٢٦٩، ولاحظ: الغدير ٢٧١/٦، و ٣٤٦/٨.

٣) قيل: إنّه قاله له ذلك عمر بن الخطاب ـ بعد أن عزله من البحرين ـ ثم قال: سرقت مال الله.. انظر: مقدمة الاستغاثة ٢٨/١.

٤) كذا وردت قولة الثاني في بعض المصادر عندما عزله من ولاية البحرين، وقدم عنده: ..يا عدو الله وعدو المسلمين ـ أو قال: وعدوّ كتابه ـ سرقت مال الله.. إلى آخره.

انظر: الصراط المستقيم ٢٤٨/٣، الصوارم المهرقة: ١٢٧، الغدير ٢٧١/٦ ـ ٢٧٢، وكذا ١٦٧/٧، و ٣٤٦/٨.. وغيرها عن مصادر جمّة.

٥) المضيرة: طعام يطبخ باللبن الحامض، أو هي مريقة تطبخ بلبن وأشياء، وقيل: هي طبيخ يتخذ ←

و: سارق الذريرة[١]..

و: ذو التمرات[٢]..

و: جرول[٣].. وغيرها.

← من اللبن الماضر [أي الحامض]، كذا في لسان العرب ١٧٨/٥، وقال بالأوّل في كتاب العين ٤١/٧، وزاد في مجمع البحرين ٤٨٣/٣: ومنه يتبين أنّ المضيرة هو الطبخ باللبن الحامض لا غير.

أقول: سمّي بذلك لأنّه كان يعجبه هذا الطعام إعجاباً شديداً! وكان يأكل مع معاوية، فإذا حضرت الصلاة صلّى خلف أمير المؤمنين عليه السلام.. وله كلام بديع هنا.

انظر: شرح إحقاق الحق ٢٥٦/٣.

١) الذريرة: لها معان عدّة وموارد إطلاق مختلفة، لاحظها في كتاب العين ١٧٥/٨، ولسان العرب ٣٠٣/٤، ومجمع البحرين ٣٠٦/٣، وجمهرة اللغة ١١٧/١.. وغيرها، وكلّها فسّرته بأنّه: فتاة قصب الطيب، وهو قصب يجاء به من الهند.. ولا معنى له، كما لا معنى لكونه من الذرية أو غيرها.

أقول: جاء في كتاب نزهة الأبصار ـ وحكاه عنه البياضي في الصراط المستقيم ٢٤٩/٣.. وغيره ـ حيث قيل له: يا أبا هريرة! يا سارق الذريرة..

٢) كما أطلق ذلك عليه كثيراً، وقد ذكر له وجه غريب جداً وسخيف، في أنّ الغول! جاء يسرق تمر الصدقات..!! إلى آخره، وقد فصله غير واحد منهم في معجم الألقاب والأسماء: ١٢٤.. وغيره.

٣) هو اسم لبعض السباع، وما كان من الجبال كثير الحجارة، كما في العين ١٠١/٦، وذكر له معان أُخر في لسان العرب ١٠٨/١١، وقال: وجرول: الحطيئة العبسي، سمّي الحجر، ومثله في الصحاح ١٦٥٤/٤ قال: الجر ـ بالتحريك ـ: الحجارة، وكذلك الجرول، والواو للإلحاق بجعفر، وكذا في القاموس المحيط ٣٤٧/٣، وقال: ..الأرض ذات الحجارة.

أقول: جاء في الاختصاص ـ المنسوب للشيخ المفيد رحمه الله: ١٣٨ [الطبعة الثانية، وفي طبعة النجف الأشرف: ١٣٢] ـ في إرسال أمير المؤمنين عليه السلام للطرماح بن عدي رحمه الله بكتاب له جواباً لكتاب معاوية، ودخوله الشام، وسؤاله عن قوّاد معاوية، فقيل له: من تريد منهم؟ فقال: أُريد جرولاً، وجهضماً، وصلادة، وقلادة، وسوادة، وصاعقة، [و] أبا المنايا، وأبا الحتوف، وأبا الأعور السلمي، وعمرو بن العاص، وشمر بن ذي الجوشن، والهدى بن محمد الأشعث الكندي..

انظر: بحار الأنوار ٢٨٥/٣٣، وانظر: صفحة ٢٩٠، وقد فسّر بأبي هريرة.

وهو بعد؛ الكذّاب[١]، والغلام الدوسي[٢].. وغيرهما[٣].

بل عدّ أحد الكذّابين الثلاثة على رسول الله ﷺ، هو، وأنس بن مالك، وعائشة بنت أبي بكر[٤].

وأمّا ثالثاً:

وهي دردشتنا مع المؤلف الفاضل، فإنّ حاصل ما تمخض من بحث أخينا (المصطفى) هو ما نصّ عليه بقوله: فهذه الروايات أخبار اسرائيلية وكتابية. [أُخذت من كتب سماوية محرّفة] كانت تبحث لنفسها عن موطئ

---

١) كما اتفقت عليه كلمة الخاصة، وأُطلق عليه ذلك كثيراً ـ كما قاله في بحار الأنوار ٤٠٣/٣١ ـ قال: عن أبي هريرة الدوسي الكذّاب المدني، وكذا فيه صفحة: ٤٨٦.

وعلى كلّ؛ فهي صفة لازمة له تذكر عقيب اسمه، وورد في رواياتنا كثيراً، انظر مثلاً: قرب الإسناد: ١٣٩.

٢) قال الطبري في المسترشد: ١٧٠ برقم ٣٨:..قال فيه أمير المؤمنين [عليه السلام]: «أكذب الناس على رسول الله ﷺ هذا الغلام الدوسي..».

وانظر: شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦٨/٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٠٢/٢٩..وغيرهما.

وقد روى البياضي في الصراط المستقيم ٢٤٨/٣ عن أميرالمؤمنين علي عليه السلام أنّه قال: «أكذب رجل على رسول الله ﷺ هذا الغلام الدوسي»، وفي بحار الأنوار ٢١٥/٣٣، و ٢٨٧/٣٤، وقد ورد مكرّراً في بحار الأنوار كما في ٤٠٣/٣٠ وفيه: ولا يأخذون شطر دينهم... عن أبي هريرة الدوسي الكذّاب المدني..

ولاحظ: بحار الأنوار ٢٥٢/٣١، ونفس الرحمن: ٥٩٢، والغدير ١٧٧/٦..وغيرها.

٣) انظر هذه الألقاب وغيرها مع مصادرها في الموسوعة الرائعة: الأسرار فيما كني وعرّف به الأشرار..

٤) كما روي في الخصال ٨٩/١ مسنداً عن جعفر بن محمد عليه السلام أنّه كان يقول: «ثلاثة كانوا يكذبون على رسول الله ﷺ: أبو هريرة، وأنس بن مالك، وامرأة..».

قدم في الثقافة الإسلامية في عصر الرواية الشفوية.. وكان أبو هريرة أحد التلاميذ النجباء! والقصّاص البارعين الذين استطاعوا تحقيق هذا الأمر.. واستطاعوا ترويجه والاستشهاد عليه أوّلاً بالحديث النبوي، ثمّ [بالاستناد فيه إلى الآيات القرآنية أو] برفعه ليصبح حديثاً نبويّاً، ويصبح أبو هريرة ـ الذي دلّس شيوخه من أهل الكتاب وغيرهم ـ قد روى هذه الأحاديث مباشرة عن النبي صلى‌الله‌عليه[وآله]وسلم، وتصبح رواياته محطّ نقاش وتساؤل واتهام بالإكثار والتقوّل... لأنّ له كرامات خصّه بها النبي صلى‌الله‌عليه[وآله]وسلم دون غيره.. وهو ما تنفيه هذه المدراسة وتبين أنّ إكثاره ومخالفته إنّما يرجع إلى المهارة الحرفية في القص والتحديث[1].

وهذه نتيجة جزئية لا تشبع ولا تروي.. ومن كان كذلك فهو مستعد ـ ولا شكّ ـ أن يتقوّل في الأحكام والسنن.. بل في العقائد والوحي.. وفي كل شيء.. إذ لا رادع له ولا مانع.. ولا ورع له يصدّه عن محارم الله..

ولماذا يا ترى لا يلزمنا أن نعكف على صاحبه (أنس بن مالك) المدعي الخدمة.. مع ما لقيناه في رواياته من تهافت وزيغ.. والأدهى من كل هذا والأهم هو زوج الرسول الأعظم ﷺ والتي هي أُمّ الفتنة ومنها بدءت وإليها تعود، ولنا حديث معها طويل، كما أنّها بحاجة إلى دراسة أعمق من كل

---

١) نص ما ذكره المؤلف في هذا الكتاب: ١٢٥ ـ ١٢٦ من هذا الكتاب [طبعة قم، وفي الطبعة الثانية: ٨٤ ـ ٨٥].

هؤلاء ولها دور ضخم في مسيرة الانحراف، وهي ـ بعد كل ذا ـ لا تحمل معها شهادة إلّا كونها ضجيعة رسول الله ﷺ، حكمها حكم سائر زوجاته.. مثلها مثل زوجة لوط ونوح عليهما السلام اللتين نادى بهما القرآن وحكى لنا واقعهما، مع أنّه ﷺ قد عبّر عنها بـ: الفتنة، وصاحبة كلاب الحوأب، وصاحبة ماء الحوأب، وصاحبة الجمل الأحدب، والحميراء، وقرن الشيطان، ونقضت غزلها، ونكثت أيمانها.. وغيرها[1].

وقد صدرت منها دواهي عظام غيّرت مسير التاريخ كلاً.. ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم.

والذي ندعو له تأسيساً ـ وبكل إلحاح وجدّية ـ للأخ الدكتور بوهندي ولكلّ من يحمل فكراً حرّ، ونظراً عميقاً، وموضوعية علمية أن يشمّر عن ساعد الجدّ إلى نهضة فكرية لدراسة جديدة ومعمقة لهذا الرجل أولاً، وذاك من خلال رواياته وأحاديثه.. وتصرّفاته وسلوكه و.. لعلّ كتابنا هذا خير مرشد لذلك، إذ قام بدور بسيط وهو بحاجة إلى دراسة بشكل موسع وموضوعية أعمق.. ومن ثمّ نفض الغبار عن تراثنا الحديثي بطرح آحاد رجالات الصحابة.. وتبعاً لذلك إعادة النظر لكلّ ما يسمّى بـ: (الصحاح)، إذ فات زمن عبادة الأوثان، أو خلق أصنام وهمية، ووضع أسلاك شائكة على الفكر البشري، أو تحجير الفكر الديني وقتل

---

١) كلّ هذا وغيره تجده في ترجمتها في حصيلة كتاب الأسرار ـ السالف ـ مع مصادرها من العامة والخاصة.

روح الاجتهاد و.. وكلّ ذلك من أجل الحفاظ على ماء وجه الحاكمين والظالمين.. ممّا لم ينزل بذلك سلطان ولا قام عليه برهان.. أو خوفاً على الأصنام والأوثان من أن تدنّس أو تهتك..!!

ثم وجدتني ـ بعد هذا ـ أنّ أخانا الفاضل قد تنبه إلى بعض ما ذكرناه ـ على نحو الموجبة الجزئية طبعاً ـ حيث قال[1]: ولعلّ هذا الوجود لمثل هذه الأخبار ليطرح على مصداقية هذه الكتب ونقلها للإسلام الحنيف شكوكاً كثيرة.. كما يطرح على المنهجية المعتمدة في علوم الحديث وقواعده ورجالاته، وتصحيحه وتضعيفه، وتعديله وتجريحه ومصطلحاته.. أسئلة عميقة تدفع الباحثين إلى إعادة قراءة هذه العلوم بمنهجية جديدة تتجاوز ما هي عليه الآن..

وهذا بيان لا كلام فيه، ولا شبهة تعتريه، نقرّره ونقرّه.. ونطالب بتعميمه لغيره ممّن تسمى برجالات الصحابة وأعمدة الحديث.. وبشكل معمق وموضوعية أدقّ.. فهم لا يقلّون عن صاحبنا هذا..!!

ولعلّ أروع ما في الكتاب وأجدره تأملاً ما وصل إليه عزيزنا الباحث **من نفي صحبة الرجل وتكذيب ملازمته له** ﷺ.. وهذا له معنى كبير جداً، إذ يلزم منه إسقاط أكثر من سبع كل ما هناك من أحاديث في المجاميع الحديثية التسعة وجعلها مرسلة، بل موضوعة مفتراة!! وبالطبع سراية

---

١) صفحة: ١٢٣ من هذا الكتاب في طبعة قم، وفي الطبعة الثانية: ٨٢ـ٨٣.

هذه الثلمة إلى كل ما هناك من كتب صحاح وكذا المسانيد كلاً والسنن والمجاميع طرّاً..

هذا وإنّ اعتراف جمع من رجالات الحديث والجرح والتعديل بتدليسه كاف لنا.. وإكثاره ممّا أقرّ هو واعترف به.. ممّا يتيقّن منه ويجزم بكون ما في حديثه موضوعاً.. وقد قال الأُصوليون: إنّ الشك في الحجية مساوق لعدمها.. وأصالة العدم محكمة في الشبهات الموضوعية.. كما أنّ صحبته ـ لو سلمت ـ ليست من المطهرات ولا تعدّ من المصححات!!

أمّا ما قاله الذهبي هنا موجّهاً تدليس الرجل من أنّ تدليس الصحابة كثير.. ما هو إلّا اعتراف منه عليه وإقرار له.. نقرّه عليه، وأمّا تعقيبه بقوله: ولا عيب فيه.. دعوى بلا دليل.. بل فيها كل عيب، مع أنّ ما هنا ليس بتدليس، بل وضع وتزوير..!

هذا؛ ونسأل الله القدير أن يمنّ علينا برضاه ورضوانه، ويسدّد خطانا، ويأخذ بيدنا لما فيه خير ديننا ودنيانا.. ويوفّق الأخ الدكتور (المصطفى) للسير على خطا المصطفى ﷺ واتباع سبيله، والامتثال لأوامره في حق وصيّه وخليفته من بعده..

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي هَدٰانَا لِهٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلاٰ أَنْ هَدٰانَا اللّٰهُ

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

والعاقبة لأهل التقوى واليقين

قم المقدسة ـ عبد الله النجفي

ذي الحجة الحرام ١٤٢٣ هـ

أكثر أبو هريرة

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

توالت الردود تترى في الجرائد والمساجد والكتب والدروس والمواعظ والمحاضرات واللقاءات العامة والخاصة ، بمجرد صدور الطبعة الأولى من هذا الكتاب ، والتي نفذت نسخها في وقت وجيز ، ولقد اطلع كثيرون على الكتاب من خلال الردود عليه فقط ، و لم يحصلوا على نسخة منه ، فاقتضى هذا الأمر إعادة طبعة ثانية تتضمن أجوبة على الردود المثارة . فكانت هذه الطبعة ، تلبية لحاجة القراء للكتاب ، وجوابا على أهم الأسئلة المثارة حوله ،رددت على جزء من هذه الأسئلة في المقدمة ،وهو ما يتعلق بالمشكلات التصورية في التعامل مع التراث ، ورددت على الجزء الآخر المتعلق بصحبة أبي هريرة في خاتمة الكتاب ، وجعلت متن الكتاب كما جاء في طبعته الأولى بمثابة العرض ، معتبرا أن الكتاب وما أثاره من ردود ونقاشات في الأوساط المغربية والعربية بداية جيدة للحوار العلمي حول موضوع علاقتنا بتراثنا.

مقدمة الطبعة الثانية

أعتقد أن ما أثاره كتاب "أكثر أبو هريرة" من ردود ومناقشات وتعقبات ، تتسم في بعض الأحيان بالعلمية والموضوعية ، ويغلب عليها في أحيان كثيرة طابع الانفعال وردود الفعل العاطفية ، هو بداية جيدة للحوار ، حول موضوع في غاية الأهمية والخطورة ، ألا وهو موضوع علاقتنا مع تراثنا العربي الإسلامي ، هل هي علاقة قبول مطلق لا يسمح فيه بهامش من الدراسات العلمية النقدية ؟ أم أنه رفض مطلق لا يعترف بجهود أجيال عديدة من العلماء والدارسين الذين أفنوا أعمارهم في محراب العلم ؟ وهل كل ما جاءنا عن آبائنا وأجدادنا هو من المسلمات التي أجمعت عليها الأمة ، ولا تجتمع أمتي على ضلالة، ولا فائدة للبحث العلمي في هذا الاتجاه ؟ أم أنه لابد من إعادة النظر والتمحيص في هذا الموروث الضخم ، وإعادة غربلته وتنقيته مما ران عليه في هذا الأمد الطويل، ومحاولة تجديده حتى يصير مواكبا لحاجات الواقع المعاصر الذي نعيشه ؟!

أسئلة كثيرة لا أدري إلى أي حد نستطيع إدراجها ضمن جدول المفكر فيه في ثقافتنا العربية الإسلامية ؟ ولست أدري إلى أي حد تستطيع صدور المختلفين منا أن تتسع لسماع واستيعاب الرأي المخالف، وتفهمه دون مصادرة أو تعالم..؟

لقد فتح كتاب "أكثر أبو هريرة " في طبعته الأولى باب الحوار العلمي حول التراث العربي الإسلامي على مصراعيه ، فسمعت أصوات المختلفين حول هذا الموضوع عالية ، بين راغب في المحافظة على التراث كما وصله وعدم السماح بأي محاولة لمدارسته وتمحيصه بدعوى أن هذا هو ما يريده أعداء الإسلام ليتمكنوا من الطعن في الدين وأهله ، وبين متوسل لإسقاطه بأي وسيلة كانت ، وهو يبحث عما يراه معولا للهدم يمكنه من الإسراع في نقض ما تبقى من دين وتراث .. وبين هؤلاء وأولئك يقف الباحث الدارس ، الذي لا يستجيب لإملاءات هؤلاء ولا لاتهامات أولئك ليبدأ الحوار العلمي الهادئ ، بالاحترام الواجب والأدب اللائق ، ودون خوف إلا من الله ، ولا طمع إلا في مرضاته.

مصطفى بوهندي

الدار البيضاء 2002/8/31

مناقشة الجزء الأول من الردود

بداية الحوار

لقد بدأ هذا الحوار الذي نرجو من الله أن يجعله مثمرا ، وإنه لمن حسنات المشاركين فيه – حفظهم الله – أن يبدؤوه ، و نتمنى أن يتسع صدر القراء الأعزاء لمتابعته بما يفترض فيهم من الموضوعية والتزاهة والعدل ، رغبة في "تجديد" الدين، وإظهار الحق وإزهاق الباطل ، مع حسن الظن بالمتحاورين وتتبع أدلتهم وبراهينهم وطرق استدلالهم بها، ومحاولة تفهم أهدافهم ومراميهم القريبة والبعيدة، وليس هذا من أجل أن يكون القارئ متفرجا على متناظرين، بل لابد من المشاركة في هذا الحوار المفتوح ، بالكلمة والفكرة والتصحيح والنقد والاختلاف والموافقة وغيرها مما يساهم في إغناء النقاش والدفع به إلى آفاقه البعيدة..

لقد رحبت كثيرا بالردود التي ظننت قبل صدورها ،أنها ستكون أكثر موضوعية وعلمية، تقر ما في الكتاب من حق ، وتدفع ما فيه من باطل بالدليل والبرهان. وخصوصا وقد أعلمني بعض الزملاء أنهم يعدون هذه الردود وهي في طريقها إلى النشر . ورغم المحاولات الجاهدة التي قاموا بها في تتبع ما ورد في الكتاب ، فإن الهدف الذي رسموه لهذه المتابعة لم يكن هو إنصاف الكتاب وكاتبه ، بقدر ما كان -كما تدل على ذلك العناوين- (مناقشات وردود على مغالطات كتاب "أكثر أبو هريرة") ،أو (التعقبات على كتاب "أكثر أبو هريرة " وما فيه من مفتريات) ، أو (السهام الكاسرة على شبهات بوهندي الخاسرة) ، أو غيرها من العناوين الظاهرة العنف ، والتي تعبر عن مقدار الاحتقان الذي لا زالت تعيشه الساحة الثقافية الإسلامية والعربية ، وهو راجع إلى أن ثقافة الاختلاف والحوار والتسامح لم تتحول بعد من الشعارات والدعاوى إلى السلوك الفعلي في هذه الساحة.

حق وباطل

لقد كنت أتمنى أن يرى أحد الزملاء ، الذي يظهر من كلامه أنه لا علاقة له بصاحب الكتاب عندما يخاطبه ب "أيها المؤلف" ، كنت أتمنى أن يرى شيئا من حسنات الكتاب ، لكنه رآه شرا محضا لا خير فيه.. واعتبر "أن القارئ يحتاج إلى قوة كبيرة من ضبط النفس وهو يقرأ هذا السيل من الشكوك والاتهامات فاقت ما قاله الشيعة وما قاله المستشرقون، وفي مثل هذا الموطن لا يسع المسلم إلا أن يدعو المؤلف إلى التراجع عما في الكتاب ، ويعتذر لكل من أساء إليهم فيه .

وليعلم المؤلف أنه بمثل هذا الكتاب يخدم أعداء الإسلام ، وليس كما يتخيل في نفسه أنه يخدم المشروع الإسلامي ، فغاية ما سيحدثه الكتاب هو ضجة إعلامية مؤقتة تضاف إلى أخواتها السابقات ثم تتوارى كما توارى غيرها "[1]. وفي تقديره أن الكتاب "بعيد عن قواعد البحث العلمي و أخلاقياته ، وإنني إلى الآن أبحث عن تفسير يقنعني بأن مسلما ينتسب إلى الدراسات الإسلامية يكتب مثل هذا، و أقرب إلى القول عندي أن الأستاذ استبدت به تساؤلات اختلط فيها حق فليل بباطل كثير ، فهو يريد أن يتتبع الإسرائيليات في التراث الإسلامي ، ولكنه سلك طريقا لا يوصله لمراده "، "و إذا كان من حق المرء أن يشك و يتساءل، فإن من الواجب أن يبني أحكامه على الأدلة الكافية حتى لا تتحول الافتراضات إلى قناعات بلا دليل"..

إن الدكتور الكريم, في تقديره للكتاب حاول أن يتلمس بعض ما يرمي إليه، لكن انفعاله الشديد لم يسمح له بوضعه في إطاره الذي يجب أن يوضع فيه، وهو ما منعه أن يجد تفسيرا مقنعا أن"مسلما ينتسب إلى

---

[1] عز الدين توفيق ، مناقشات وردود ..، الجزء الأخير ، جريدة التجديد عدد 389 ، الخميس 13 يونيو 2002.

الدراسات الإسلامية يكتب مثل هذا " . وهو ما سنوضحه له ولغـــيره بإذن الله ..

غـــير أن آخـــرين ممن انتقدوا الكتاب لم يصل رأيهم فيه إلى درجـــة عـــدم وجود تفسير مقنع "بأن مسلما ينتسب إلى الدراسات الإسلامية يكتب مثل هذا "، بل يرون على العكس من ذلك أن كثيرا " مـــن الأفكار الواردة فيه مشروعة، وليست المرة الأولى التي تثار، بل كانـــت مجـــال نقاش و سجال منذ قرون طويلة. و لا حرج في إعادة إثارتهـــا و إضافة أخرى إليها، وقد كتبت منذ مدة عن الفرق بين بن عباس و أبي هريرة و كون الأول فقيها والثاني حافظا راويا، ومعروف لـــدى المتخصصين أن الفقه مرشد للرواية، حتى قالوا بأولوية الحديث الـــذي يرويه الفقهاء على الذي يرويه غيرهم . وارد إذن أن تقع لآبي هريرة أخطاء في رواياته، و هو ما كشفه العلماء من قديم، ووارد أيضا أن تتسرب إسرائيليات إلى بعض مرويات أبي هريرة [2].

لقد كنت أتمنى أن يركز المناقشون للكتاب في ردودهم على مـــا جاء فيه من أفكار وتصورات ومفاهيم ، واضـــعين في حسبانهم أنهـــا قابلة للصواب والخطإ ، ويمكن مناقشتها بكل موضوعية وعلمية ، فيقبل منها ما يقبل ويرد منها ما يرد بالدليل والبرهان ، غير أنني فوجئت بـــأن التركيز -عند البعض- قد تحول من الأفكار إلى صاحبها ، فوصـــل إلى نيته وقلبه، وصدقه وكذبه ، و إيمانه وعقيدته ، وعلمه وجهله، وقدرتـــه وعجزه ، ونزاهته وعدمها ، وظلمه وبغيه ، بل وتعمد الكـــذب علـــى الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته[3].. وقد وصل الأمر عند البعـــض إلى نوع من السباب والقذف ، وتتبع العورات في الحياة الخاصة والعامـــة بالزور والكذب والبهتان ، فأخرجوا ما في صدورهم من حقد وعـــداوة

---

[2] سعد الدين العثماني ، هل أبو هريرة صحابي ،جريدة التجديد ، عدد 400، الأربعاء2002/6/26

[3] أنظر ما كتبه الدكتور عز الدين توفيق في مقالاته الخمسة في جريدة التجديد .

وبغضـــاء واحتقار، حتى لا تكاد تجد صفحة في الكتاب من أوله إلى آخـــره تخلو من عشرات الشتائم و الصفات الذميمة، بل لا تكاد تخلو جملة من وصف لامز وقذف صريح و سب فاجر و نبز بالألقاب الساقطة الوضيعة، و إني لأستحيي أن أنسب إلى هذا الشخص ما قاله، بله أن أرد عليه بشيء منه أو أن ألوث صفحات كتابنا بترديده،...
وأعتقد أن كل هذا لا يفيد البحث العلمي في شيء، و ليس للمناقشين ســبيل إليه، وربما يحول الحوار من خلاف في الأفكار إلى اختلاف بين الأشـــخاص ، وبـــدل أن تـــناقش الأفكار و تصحح الأخطاء و يقرر الصواب، يتحول الأمر إلى محاكمة النيات والعقائد والعقول و السرائر و الخصوصيات...

لقد تنبه عز الدين توفيق إلى أنني " قد اســـتبدت بي تســـاؤلات اختلط فيها حق قليل بباطل كثير ، وذلك أني أريد أن أتتبع الإسرائيليات في التراث الإسلامي، ولكني سلكت طريقـــا لا يوصلـــني إلى المـــراد " ويطلب مني أن أبني أحكامي على الأدلة الكافيـــة "حـــتى لا تتحـــول الافتراضات إلى قناعات بلا دليل " ونحن نتفق معه في هذا الأمر الذي لا أظن أن باحثا نزيها يمكن أن يخالفه فيه ، وهو بناء الأحكام على الأدلـــة الكافية ، كما نتفق معه على أن تساؤلات كثيرة قد "استبدت بي " و أنا أعـــالج موضـــوع الإســـرائيليات والنصرانيـــات ، وحســـب قـــول الدكتور"اختلط فيها حق قليل بباطل كثير "، وهو نوع من الاعـــتراف بأن ما ذكرته فيه قليل من الحق وكثير من البـــاطل ، غـــير أن ســـيادة الدكتور لم يبين لنا أين يوجد هذا الحق فيما ذكرته ، وركز فقط علـــى ما اعتبره باطلا..

كما تنبه سعد الدين العثمـــاني إلى أن كثـــيرا " مـــن الأفكـــار والتساؤلات الواردة فيه مشروعة" ، وإلى أنه "وارد إذن أن تقـــع لأبي هريرة أخطاء في رواياته ، وهو ما كشفه العديد من العلماء من قـــديم.

ووارد أيضا أن تتسرب إسرائيليات إلى بعض مرويات أبي هريرة"[4]، غير أنه هو الآخر لم يذكر لنا ما يوافقني فيه بل ركز فقط على ما اعتبره "استدراكات منهجية تشوب الكتاب.. "، كما تنبه رستم إلى أن "هذا الذي قطع به الكاتب -وإن كان فيه نصيب من الصحة - ففيه نوع غلو وتجريح"[5]، غير أنه لم يبين هذا النصيب من الصحة الوارد في الكتاب، وإنما ركز على ما فيه من "مفتريات".

أما الردود الأخرى سواء الصادرة في كتب أو في مقالات جرائد أو في خطب جمعة أو دروس مساجد أو محاضرات ولقاءات عامة وخاصة، فأغلبها لا يمكن أن يطلق عليه اسم مناقشة أو حوار، بقدر ما نسميه إرهابا فكريا بكل ما تحمله الكلمة من معان. ومثل تلك الردود لا تقيم وزنا للتمييز بين الحق والباطل، بقدر ما يهمها الانتصار للذات على حساب الآخر ولو كان صاحب الحق المبين..

خلاف تصورات

وأحب أن أبين هنا أن منشأ الخلاف بين تصوري للموضوع وتصور المخالفين له يكمن في هذه النقطة بالذات، فأكثرهم يرى أن موضوع الإسرائيليات والنصرانيات والموضوعات قد حسم الأمر فيه، وكل هذه المسائل قد قضي الأمر فيها من العلماء السابقين، وما على الراغب في البحث في هذا الموضوع إلا أن يرجع إليهم، فإذا نصت مؤلفاتهم على شيء من ذلك فهو كما قالوا، وإلا فلا، وليس لأحد من المعاصرين القدرة ولا الحق في تناول هذا الموضوع بخلاف ما جاء به السلف، واكتشاف ما لم يكتشفوه، فضلا عن اكتشاف أخطائهم وتصحيحها، ومن قام بخلاف ذلك فإنه قد هانت عليه "تلك الأعداد

---

[4] سعد الدين العثماني، هل أبو هريرة صحابي، التجديد، عدد400، 2002/6/26.

[5] زين العابدين رستم، التعقبات، جريدة المحجة، عدد 175، 2002/7/5.

الغفيرة من المحدثين الذين تفرغوا لهذا العلم وأنشأوا له فروعا عديدة هدفها تحصين هذا المصدر من مصادر التشريع"، وقد يعجب له المخالفون " كيف جوز له عقله أن تجتمع الأمة على ضلالة ، وأن يتخلف وعد الله تعالى المذكور في قوله سبحانه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) ، فمن حفظ الكتاب حفظ السنة ." و " هل ضل هؤلاء الذين كانوا في زمن التحري والمعاينة و أصاب المؤلف بعد أربعة عشر قرنا؟ "[6].

ويقول سعد الدين العثماني: "أما إذا أخذنا برأي الكاتب فلن يكون من تفسير إلا أننا أمام مؤامرة صمت وتواطئ من قبل هؤلاء جميعا، أو أمام جهل مطبق منهم بحقيقة أبي هريرة ، أي أمام أناس عاجزين عن كشف ادعاءات شخص يكذب عليهم. وإذا كانت هذه الأمور صحيحة فهذا لا يترك لكل ما رواه الصحابة والتابعون ، ولكل ما قرره علماء الحديث والأصول والتاريخ من مصداقية"[7].

ويقول الزبير أبو سلمان : "لقد أجمعت جميع الكتب التي صنفت في موضوع "الصحابة" على ضلال إذن ، حين اعتبرت أبا هريرة صحابيا بينما حسابات الدكتور وعملياته الرياضية تقضي أن يكون تابعيا فقط، قدم المدينة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بزمان، إنها عجائب حقا ، واكتشاف جديد في العهد الجديد ، وهي فضيحة ما بعدها فضيحة حلت بمنهج النقد عند المسلمين، وما أحسب عالما سيرفع له رأس بعد اليوم! أو هكذا ينبغي للدكتور أن ينظر إلى الأمور"[8].

إن هذا التصور الذي ينطلق منه المخالفون لا يسمح ، ولن يسمح، لأي محاولة علمية نقدية أن تقوم ، وكل ما يقوم به الباحثون

---

[6] عز الدين توفيق ، مناقشات وردود ، التجديد ، عدد 384 ، 2002/6/7.

[7] سعد الدين العثماني، هل أبو هريرة صحابي، التجديد، عدد 400، 2002/6/26.

[8] الزبير أبو سلمان ، السهام الكاسرة ، ص4-5.

ضمن هذا التصور لن يكون إلا ترديدا خافتا لما ورد عن الأسلاف ، ولن يكون إلا إعادة إنتاج لما أنتجوه ، ولن يحقق أي تقدم في البحث العلمي وخصوصا النقدي منه . وعليه فإن النداءات المتوالية من المفكرين المسلمين لتنقية التراث والثقافة الإسلاميين مما امتزج بها من انحرافات وأباطيل ، لن يكون إلا شعارا غير قابل للتنفيذ .. ومقابل هذا التصور هناك تصور آخر، يدخل ضمنه كتاب " أكثر أبو هريرة" ، يعتبر أن العلوم الإسلامية ليس هدفها المحافظة على الأوضاع الثقافية القائمة وتكريسها ، بل هي علوم نقدية تتحرى الصواب وتسعى إليه ، وتبحث عن الخطإ وتعمل على إزالته، وهي علوم متطورة من يظن أنها قد نضجت واحترقت فقد حكم عليها بالفناء والموت .. بل هي علوم متجددة تسمح بنقد الأفكار و الأخبار والتصورات والمفاهيم ، والأشخاص والمذاهب والأصول ، والأديان و الأحكام والعقائد والأخلاق ، ومناقشتها بما يحق الحق و يزهق الباطل ، ويرفع الإنسان في العلم والإيمان ، ويتقدم به في تحقيق الاستخلاف في الأرض وتعميرها بما ينفع الناس في المعاش والمعاذ .. وأحب أن أذكر هنا أن الثورات العلمية لم ولن يقوم بها المحافظون على الأوضاع القائمة والمكرسون لها.. وأحب أن أذكر أن ما قام به الإمام البخاري ليس إلا ثورة تجديدية على وضع قائم ، فهو من خلال " ستمائة ألف حديث " – حسب الرواية عنه – "نخل سبعة آلاف بالمكرر"، وهو –رحمه الله – اشترط شروطا –اكتشفها اللاحقون– تعتبر الأقوى في قبول الرواية ، وعلى رأسها اللقيا زيادة على المعاصرة ، وهو ما جعله في بعض الأبواب يجعل لها تراجم – أي عناوين– دون أن يورد ولو حديثا واحدا ، مع أنه يحفظ في الباب أحاديث كثيرة ، وقد أوردها غيره في المستدركات عليه ، وهذه الأحاديث التي نخل من محفوظه الكبير لا تمثل إلا واحدا بالمائة من مجموعه ، فهو بذلك يمثل ثورة نقدية على الثقافة المعاصرة له ، وقد كتب في التاريخ والضعفاء والعلل ، وتعرض فيها بالنقد للمتون والرجال

والأسانيد ، وهي مجمل الثقافة الحديثية في عصره ، و لم يكن يمنعه من اشتراط شرطه ونخل صحيحه أن السابقين عليه لم يقوموا بذلك الأمر ، ورغم الاتهامات التي وجهت إليه والمضايقات التي تعرض لها فقد كانت مساهمته حقيقية في النقد الروائي.. و الذي نأسف له حقا أن الذين يتخذون من تصحيح البخاري ومسلم للأحاديث شعارا لهم ، لا يرون من الكأس إلا الجزء الفارغ منها ولكنهم يغفلون عن الجزء الملآن ، وهو جانب النقد والتمحيص والتحري الذي يجب أن يتخذ فيه الإمام البخاري قدوة ، وليس العكس.

إن قول عز الدين توفيق : " أ إلى هذا الحد هانت على المؤلف تلك الأعداد الغفيرة من المحدثين الذين تفرغوا لهذا العلم، وأنشأوا له فروعا عديدة هدفها تحصين هذا المصدر من مصادر التشريع ، وكشف من ثبتت صحبته ومن اختلف في صحبته ومن لم تصح صحبته ، هل ضل هؤلاء الذين كانوا في زمن التحري والمعاينة و أصاب المؤلف بعد أربعة عشر قرنا " . وقول سعد الدين : "إننا أمام مؤامرة صمت وتواطئ من قبل هؤلاء جميعا ، أو أمام جهل مطبق منهم بحقيقة أبي هريرة ، أي أمام أناس عاجزين عن كشف ادعاءات شخص يكذب عليهم.."، وقول الزبير : "لقد أجمعت جميع الكتب التي صنفت في موضوع "الصحابة" على ضلال إذن (...) وهي فضيحة حلت بمنهج النقد عند المسلمين ، وما أحسب عالما سيرفع له رأس بعد اليوم".

إن هذه الأقوال تمثل معادلة صعبة ، إذ لابد أن يكون أحدهما ضالا إما "المؤلف الذي جاء بعد أربعة عشر قرنا" ، و "إما تلك الأعداد الغفيرة من المحدثين الذين تفرغوا لهذا العلم" ، وعليه فلا يمكن لأي باحث أو دارس جاء بعد أربعة عشر قرنا أن يناقش ما كشفوا عنه ممن " ثبتت صحبته أو اختلف في صحبته أو لم تصح صحبته ".. وهو على الأقل غلق لباب الاجتهاد في هذه المسألة .. والذي أحب أن أوضحه للأساتذة أن هذا الأمر لو كان بالشكل الذي يطرحونه ، لما سمح لتلك

" الأعداد الغفيرة من المحدثين الذين تفرغوا لهذا العلم" بمناقشته ، والذي سمح لهم بذلك لماذا لا يسمح للذين من بعدهم، وأنت تعلم أنهم لم يناقشوا هذا الأمر على العهد النبوي ولا على عهد الصحابة والتابعين ، وإنما في العهود التي تليه ، فلو تصدى لهم بعض الناس قائلين لهم :" إن هذا الأمر لم يحسمه النبي صلى الله عليه وسلم و لا ناقشه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون ، فلماذا تثيرونه ؟ أهان عليكم تلك الأعداد الغفيرة من علماء الصحابة والتابعين ، هل ضل هؤلاء الذين كانوا في زمن التحري والمعاينة ، وأصبتم أنتم بعد قرن أو قرنين أو أكثر؟ إن مثل هذا الاعتراض لن يسمح لتلك "الأعداد الغفيرة من المحدثين الذين تفرغوا لهذا العلم " من أن ينشئوا له الفروع العديدة ، و يكشفوا " من ثبتت صحبته ومن اختلف في صحبته ومن لم تصح صحبته" ، إن حديث عز الدين توفيق عمن ثبتت صحبته ومن اختلف في صحبته ومن لم تصح صحبته، وحديث سعد الدين العثماني عن علماء الحديث والتراجم والسير والطبقات الذين "يدققون في هذه الأمور تدقيقا ، وكان هناك كثير من الأسماء اختلف في صحبتها ، ونوقشت ، و لم يكن من بينهم أبو هريرة"[9] وحديث الزبير عن " القواعد التي أسسها العلماء ، والأصول التي قعدوها وكشفوا من خلالها صدق من صدق ، وكذب من كذب"[10]

إن هذا الحديث ليبين بما لا يقبل الشك أن أمر الصحبة هذا، قد ناقشه أولائك العلماء و أثبتوا صحبة بعض الأشخاص، و أبطلوا صحبة آخرين، واختلفوا في صحبة غيرهم، وما تلك النقاشات إلا نتيجة انفتاح باب الاجتهاد في هذا الموضوع على مصراعيه بعد عصر الصحابة و التابعين ، بل وبعد القرن الأول والثاني حيث نشطت حملات التحقيق في المتون و الرجال و الأسانيد فمن أغلق هذا الباب يا ترى ؟ومن جعل

---

[9] سعد الدين ، هل أبو هريرة صحابي، التجديد، عدد400 ،2002/6/26.

[10] الزبير ، السهام الكاسرة، ص5.

الأساتذة الأعزاء حراسا له يمنعون الناس من الاقتراب منه متهمين إياهم بما لا يصح؟!

ضرورة السؤال

إن مثل هذه الأسئلة ضرورية لإكمال المسيرة العلمية التي بدأها اولائك العلماء الأفذاذ ، والتي انحسرت بفعل التراجع الثقافي الخطير الذي عرفته الأمة في زمن انحطاطها ، و لم يعد العالم إلا مرددا لما ورد عن أسلافه ، دون أن يكون له أي أثر يذكر في هذه العلوم إلا دعاء ونداء ، و يصير مجرد طرح السؤال في هذه المواضيع التي ناقشها السابقون جريمة تجعل صاحبها متهما بأبشع التهم..

إن طرح السؤال هو البداية الطبيعية للبحث العلمي الجاد ، وكلما كان السؤال عميقا ومقلقا كانت الدوافع المعرفية والنفسية والثقافية مستعدة للتصدي له والجواب عليه ، وهو ما يفتح أبواب البحث العلمي ويدفع بالاجتهاد الإنساني إلى آفاقه البعيدة و حدوده القصوى .. إن التجديد الذي نطمح له في الثقافة والتراث والدين لن يكون ممكنا إلا إذا كان السؤال حرا وصادقا ولا يخاف عصا الرقيب و تهمه وسجنه .. وإن المتدبر للقرآن الكريم ليكتشف أن الأسلوب القرآني هو أسلوب السؤال، وأن العلم القرآني هو علم السؤال ، وأن الثقافة القرآنية هي ثقافة السؤال، فالله يسأل والملائكة تسأل والأنبياء يسألون والصالحون يسألون، والله يأمر الجميع بالسؤال ويسمح للجميع به.. وذلك لأن دين الحق لا تزيده الأسئلة إلا ثباتا ورسوخا ، و السؤال لا يزيد الناس إلا معرفة ويقينا ، وبه تزول الشكوك وتسقط الشبهات وتتجلى الحقائق.. ولقد يعجب قارئ القرآن الكريم كيف أن كل العقائد الأساسية في الدين قد سمح فيها القرآن بالأسئلة ، فالتوحيد يعرض في هذا الكتاب عن طريق الأسئلة ، والبعث والنبوة والرسالة والجزاء والعقاب وكل

الشريعة والقيم .. لا حرج من السؤال لأنه باب العلـــم.. ولا طريـــق إلى العلم إلا به..

و إذا كان القرآن الكريم يسمح للملائكة و الأنبياء والمرســـلين والمؤمنين والكافرين على السواء ، بالسؤال في الأمور الأساسية في الدين كالتوحيد والنبوة والبعث ، ويدعو الناس أجمعين إلى طرح الأسئلة دون خوف ولا حرج ، فإنه حري بنا أن نعيد إحياء هذا المنهج القـــرآني ، الذي تخلى عنه الناس في زمن الانحطاط ، ألا وهـــو ثقافـــة الســـؤال ، وليس ثقافة الجواب الجاهز التي قتلت الإنسان واغتالت عقله وحرمتـــه من حق التفكير وحرية الاختيار..

وعليه فإن ما اعترض به المخالفون بقولهم "وهل ضل هؤلاء الذين كانوا في زمن التحري والمعاينة وأصاب المؤلف بعد أربعة عشر قرنـــا" لا يصح بحال ، وليست فيه أية حجة، وليس اولائك الذين ناقشوا هـــذه المواضيع إلا بشرا من الناس يصيبون ويخطئون، وكما سمح لهم بمناقشـــة هذه الأمور في أجيال متعاقبة فلا مانع من مناقشتها في أجيال أخـــرى ومنها الجيل الذي نحن فيه و ما يليه من الأجيال .. وهـــذه الحجـــة لا تختلف عن حجج المعترضين على الرسالة حيث قالوا: (إنا وجدنا آباءنا) أو قالوا (فما بال القرون الأولى) أو غيرها من الحجج الواهية..

فإذا تبين هذا صار ممكنا أن يفتح باب النقاش العلمي في مـــا ورد من الكتاب بعيدا عن سلطة القرون الأولى ومصادرها لحـــق التفكـــير وحرية الاختيار.. وإلا فلا.

وحتى نكون صرحاء فإنه لا يمكننا أن نعتبر مـــا ورد في الثقافـــة والتراث الإسلاميين صحيحا مائة بالمائة ثم ننتقده، ولا يمكننا أن نعتـــبر بعض الروايات محط نقاشنا وخلافنا ثم نجعلها حكما لنا في هذا الخلاف.

وهناك قضية أخرى نود مناقشتها في هذه المقدمة تكشف عـــن الخلل التصوري الذي تنطلق منه هذه الردود ، وهي قضية كتمان العلـــم التي حاول المناقشون لها الجمع بين رواية عدم الكتمان ورواية الكتمـــلن.

قال رستم : "وهذا الذي ذكره الكاتب رأي "بعيد" ، ونظر غير سديد ، ذلك أن من أهل العلم من وفق بين الذي ذكره أبو هريرة من خوفه كتمان العلم ، وبين قوله : "حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم" ، يعني أنها كانت أحاديث الساعة، وما عرف به عليه السلام من فساد الدين ، وتغير الأحوال ، والتضييع لحقوق الله كقوله عليه السلام : "يكون فساد هذا الدين على يد أغيلمة سفهاء من قريش" ، وكان أبو هريرة يقول : لو شئت أن أسميهم بأسمائهم ، فخشي على نفسه فلم يصرح." ، قال المهلب بن أبي صفوة شارح البخاري : ولو كانت الأحاديث التي لم يحدث بها من الحلال والحرام ما وسعه تركها ، لأنه قال: لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم ثم يتلو : (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى)"[11].

وقال عز الدين توفيق: "جريا على عادته في تصيد الاتهامات ظن الكاتب أن أبا هريرة يناقض نفسه عندما قال عن إكثاره من الرواية : (أن كتاب الله ينهى عن كتمان العلم وذكر آية منه ، وقال في مناسبة أخرى أنه حفظ من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين بث أحدهما ولم يبث الآخر) .." ثم بين : "أن الذي لم يبثه أبو هريرة هو أحاديث سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها ذكر الفتن التي ستقع ، وكان يلمح لها بقوله :أعوذ بالله من إمارة الصبيان ورأس الستين ، وكان لا يحدث بها خوفا من الأذى ، ولأنها لا تتعلق بأحكام الشرع ولا يتوقف عليها عمل ، ولم يفهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم وجوب تبليغها "[12].

---

[11] زين العابدين رستم ، التعقبات ..، المحجة ، عدد 175 ،2002/7/5.

[12] عز الدين توفيق، مناقشات وردود، التجديد ، عدد 389،2002/6/13.

وخلاصة ما جاءت به هذه الردود يتضمن اعترافا بالتعارض بين كتمان الأخبار وعدمه ، وأن الأخبار المكتومة لو كانت من الأحكام الشرعية والحلال والحرام وما تحته عمل ما وسعه كتمانها ، ولكنها أخبار لا تتعلق بذلك وإنما هي أحاديث الفتن وأخبار الملاحم وتغير الأحوال وأشراط الساعة مما يجوز كتمانه خوفا من الأذى؟!..

أحاديث الفتن

فأما أن الأحاديث التي لم يبثها هي أحاديث الفتن ، فلست أدري من أين علم المخالفون والذين نقلوا عنهم ما كتمه أبو هريرة وهو قد كتمه ؟ هل فتشوا وعاءه المكتوم ؟!..

هو اجتهاد إذن نقله المخالفون عن علماء سابقين أرادوا تبرير كتمانه ، وهو اجتهاد ليس عليه دليل ، بل الأدلة بخلافه ، إذ أن أبا هريرة قد روى من أحاديث الفتن ما شاء الله له ، والدارس لها يكتشف ارتباطها بالوضع السياسي المعاصر لأبي هريرة ، والدور الذي تقوم به هذه الأحاديث في هذا الوضع .

ما لا يتعلق بأحكام الشرع ولا تترتب عليه الأعمال

وأما أنها أحاديث لا تتعلق بأحكام الشرع وليست من الحلال والحرام و لا يترتب عليها عمل ، فلست أدري إن لم تكن أمور الإمامة وأحكام السياسة تتعلق بأحكام الشرع وتترتب عليها الأعمال فما الذي يتعلق بهذه الأحكام بعدها ، ولماذا تذكر هذه الفتن إذن ويحذر منها ، فالخروج على الجماعة، ومنازعة الأمر أهله ، وإمارة الصبيان ، واتباع الرؤوس الجهال، والأئمة من قريش و... .

إن أحاديث الفتن لا تتعلق بأحكام الشرع وتترتب عليها الأعمال فقط ، بل وتوجب الميتة الجاهلية وخلع ربقة الإسلام من العنق ، والارتداد عن الدين ، ويقابلها الثبات على الحق والتمسك بالسنة

والعض عليها بالنواجذ وغيرها مما فصلت فيه هذه الأحاديث التي ذكر المخالفون والذين أخذوا عنهم من قبلهم أنها لا تتعلق بأحكام الشرع ولا تترتب عليها أعمال ...

إن هذه الفكرة من أخطر الأفكار التي ساهمت في تفكيك البنية الثقافية الإسلامية ، وفصلها إلى فصلين ، فصل يتعلق بالأحكام والحلال والحرام وتترتب عليه الأعمال ، وهو الذي يستحق التأمل والتحقيق والنظر والاهتمام ، وفصل لا يتعلق بذلك فلا يضر عدم التحقيق فيه ، والخطأ والصواب فيه سيان ، ومن ذلك المواعظ والرقائق والملاحم والقصص والفتن وغيرها .. وإن "الكلام" جزء من هذا الفصل، يمنع الخوض فيه.. وقد يدعو الأمر إلى "إلجام العوام عن الخوض في علم الكلام".. إن هذا الفصل من المعرفة يحكى على سبيل الاستئناس والمتعة النفسية والنزهة الفكرية ليس إلا.. فينفصل بذلك سلوك الإنسان الذي أصبح الفقه التجزيئي مؤطرا له ، عن الفكر والنظر الذي لا يجد ما يؤطره إلا أخبار وقصص وفتن لا أصل لها.. وخطورة هذا الأمر لا يعلمها إلا من يعلم مدى تأثير هذه الأخبار و القصص في تشكيل عقلية الإنسان وبناء نفسيته وتكوين شخصيته .. وأن مقدار الانحراف في هذه الأخبار والقصص يمكن رصده في سلوك المتشبعين بها .. والمتأمل في القرآن الكريم يدرك مدى التركيز القرآني على هذه الأخبار والقصص لما يعلم الله فيها من آثار على الكائن البشري ، وقد بينه سبحانه في آيات عديدة ، ومنها قوله : (لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)[13] .. إن القصص عندما تتلى بالحق ، فإنها تكشف لك عن تجربة بشرية تتحرك فيها المبادئ في واقع الناس ، وفق سنن ثابتة في التاريخ والمجتمع والنفس لا تتبدل ولا تتحول

---

[13] سورة يوسف آية 111.

(فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا)[14] ، ومن خلال تلك التجارب المتلوة بالحق يكتشف الإنسان الصواب و الخطأ والنتائج المترتبة على كل واحد منهما ، مما يمكنه من الاقتداء والاهتداء والاستبشار والحذر اللازم ، ليخوض تجربته الخاصة وقد علم السنن التي تحكمها.

أما التلاوة التي لا تنبني إلا على الظنون والأوهام، فهي تلاوة بغير الحق، وهي تقدم تجربة غير حقيقية ولا تخضع للسنن التي وضع الله في الوجود مما يترتب عليه التصور والسلوك الخاطئان، ولن ينفع حينها أحكام جزئية لا يؤطرها تصور واضح وصحيح ..إن هذا المدخل عينه هو الذي تسربت منه كل الإسرائيليات و النصرانيات والموضوعات والخرافات إلى الثقافة العربية الإسلامية، حيث قالوا: "إنه لا يترتب عليها عمل ولا تتعلق بالأحكام"، فأنشأت لنا مجتمعا خرافيا عجائبيا مقلدا يغتال العقل ولا يؤمن بالتفكير, وليس له استعداد لمناقشة و مدارسة الموروث بالدليل و البرهان، وما التخلف الذي نعيش فيه على مختلف الأصعدة إلا بعض تجليات هذا النمط من التصور..وعليه فإن أحاديث الفتن- وخلافا لما ذكره المخالفون – أخبار غايتها دفع الناس إلى اتخاذ مواقف معينة ، وتكوين تصورات خاصة، والقيام بأعمال محددة تجاه هذه الجهة أو تلك من الجهات المختلفة في التاريخ والسياسة و الاعتقاد.. وكان أبو هريرة- من خلال أحاديثه- يدافع عن الموقف الرسمي، ويدعو إلى طاعة الإمام القرشي، ويحذر من الخروج عليه ومناصرة الفرق المخالفة له، ومن إمارة الصبيان ومنازعة الأمر أهله و غير ذلك مما نسميه ب"السياسة"، وسماه الآخرون في الزمن القديم ب "الفتن"، فالدعوة إلى اعتزال " الفتن" ليست كما قال المخالفون لا تترتب عليها أعمال ولا تتعلق بالأحكام و ليست من الحلال و الحرام.

---

[14] سورة فاطر آية 43.

أما قول عز الدين توفيق : "ولم يفهم من رسول الله وجوب تبليغها" فلست أدري من الذي دله على هذا الأمر، وأبو هريرة لم يصرح بذلك ولا لمح إليه ، وهو قد روى من هذه الأحاديث ما شاء الله له ؟..

إن ما قام به المخالفون والذين نقلوا عنهم لن يرفع التناقض بين الخوف من الكتمان الوارد في الآية (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب ، أولائك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون .. الآية) والذي برر به أبو هريرة كثرة روايته ، وبين كتمانه لأحد أوعية الرواية خوفا من قطع بلعومه.. فإما أنه خاف من الله فبلغ ، أو خاف من الناس فكتم ، و لا يجتمعان ..

وما قام به المخالفون يكشف عن الأسلوب الذي ورثناه في كيفية التعامل مع التراث ،حيث جعلناه نصوصا مقدسة ، نحاول في حالة تعارضها مع بعضها البعض أو مع الأصول أو المعقول ، أن نبحث لها عن تأويل أو مخارج نحافظ بها على قدسيتها الموهومة، وذلك باختلاق مقولات وقواعد وأصول تساعد على ذلك ، ولو على حساب العقل والقرآن وسنن الوجود..

هذا جزء من الرد على المخالفين ، توخيت من وضعه في المقدمة أن يتمكن كثير من القراء الذين اطلعوا على الكتاب من خلال الردود عليه فقط ، أن يكونوا تصورا واضحا عن منطلقاته وأهدافه خلافا لما قد يفهم من أقوال المخالفين . وقد أرجأت الجزء الآخر من الرد إلى الخاتمة حتى لا يشوش على القراء قبل قراءتهم للكتاب ..

أكثر أبو هريرة

دراسة تحليلية نقدية

تمهيد

يعتبر أبو هريرة* من أكثر الناس رواية للحديث النبوي ؛ فعدد أحاديثه المروية في الكتب التسعة ، حسب ترقيم العالمية، تصل إلى 8740 حديثا على 62169 حديثا، وهي تمثل نسبة 14.05 % من مجموع الأحاديث؛ أي ما يزيد على سبع هذه الأحاديث.

ويغلب على روايته طابع القصص وأخبار الأمم السالفة ، إذ أن ما يقارب ربع الأحاديث المتعلقة بأخبار الأمم السالفة في الكتب التسعة، راويها هو أبو هريرة ، وتصل هذه النسبة إلى 26.25 % عند البخاري ، وإلى 68.49 % عند الإمام مسلم، مع التأكيد على خصوصيات مروياته وما تثيره من تساؤلات وإشكالات لدى الدارسين والنقاد قديما وحديثا.

إن المتأمل في أحاديث أبي هريرة يجد أن مسألة إكثاره من الرواية، وانفراده بما لم يرو عن الصحابة مهاجرين وأنصارا كانت محط جدل في عصره، وقد أثارها أبو هريرة في غير ما رواية ، و رد عليها ردودا تحتاج إلى غير قليل من التأمل والمدارسة.

---

* أبو هريرة من اكثر الرواة تحديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، "اختلف في اسمه على أقوال جمة" "وكذا في اسم أبيه"(سير أعلام النبلاء، الذهبي ، ج2، ص678) روي عنه أنه قال "قدمت والله ورسول الله صلى الله عليه و سلم بخيبر، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ، وأقمت معه حتى توفي أدور معه في بيوت نسائه وأخدمه وأغزو وأحج معه وأصلي خلفه فكنت والله أعلم الناس بحديثه " (سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2 ص605) . اختلف في سنة وفاته ، قال الواقدي : " كان يقل ذا الحليفة وله دار تصدق بها على مواليه ومات سنة تسع وخمسين ، وله ثمان وسبعون سنة ، وهو صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين ، قال وهو صلى على أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين ، قلت (أي الذهبي) الصحيح خلاف هذا " (سير أعلام النبلاء ، الذهبي 626/2) و " قال عمير بن هانيء العنسي قال أبو هريرة : اللهم لا تدركني سنة ستين فتوفي فيها أو قبلها بسنة "(المرجع نفسه) .

الإكثار من الرواية وتساؤل الناس عنه:

فعند البخاري بسنده ، يقول أبو هريرة:

-إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة[15].

-إنكم تقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[16].

-يقولون إن أبا هريرة يكثر الحديث والله الموعد[17].

-إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم[18].

وعند مسلم بسنده:

-إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[19].

وعند الإمام أحمد بسنده قال أبو هريرة :

-إنكم تزعمون أن أبا هريرة يكثر الحديث على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله الموعد[20].

-إنكم تقولون أكثر أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم، والله الموعد[21].

إن هذه الروايات التي يرويها أبو هريرة نفسه عن أقوال الناس و"مزاعمهم" بشأن إكثاره من الرواية، تبين إلى أي مدى كان هذا الموضوع مثارا في عصره ومن طرف معاصريه، مما دعاه إلى التطرق إلى

---

15 -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115.

16 -صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، حديث 1906.

17 -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة، حديث 2179.

18 -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

19 -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547.

20 -مسند أحمد، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

21 - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 7380.

هذا الأمر والرد عليه ، واتهام مثيريه بأنهم أخطأوا في حقه وسيدعوهم إلى الله (والله الموعد) وهو الذي سيحكم بينهم.

الأنصار والمهاجرون لا يروون مثل روايته:

أورد البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال:

-وتقولون ما بال المهاجرين والأنصار لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل حديث أبي هريرة[22] .

-ويقولون ما للمهاجرين والأنصار لا يحدثون مثل أحاديثه[23]

وعن الإمام أحمد بسنده إلى أبي هريرة قال:

-إنكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل هذه الأحاديث ، وما بال الأنصار لا يحدثون عن رسول الله بهذه الأحاديث[24] .

إن أبا هريرة كان على علم بما في أحاديثه من الاختلاف عن أحاديث غيره من الصحابة الآخرين مهاجرين وأنصارا ، فهم لا يحدثون مثل حديثه ولا يكثرون مثل إكثاره ، وهو ما دعاه إلى الرد على الناس وتبرير إكثاره ومخالفته.

كتمان العلم:

روى البخاري بسنده إلى أبي هريرة قال:

-ولولا آيتان في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم يتلو (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى) إلى قوله (الرحيم)[25][26] .

---

[22] -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 1906.

[23] -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة، حديث 2179.

[24] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين، حديث 7380.

[25] -سورة البقرة ، آية 159-160.

[26] -صحيح البخاري، كتاب العلم، حديث 115.

-والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثتكم شيئا أبدا(إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى)[27] إلى قوله (الرحيم)[28] .

وروى مسلم بسنده إلى أبي هريرة قال:

-ولولا آيتان أنزلهما الله في كتابه ما حدثت شيئا أبدا (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى)[29] إلى آخر الآيتين[30] .

وروى ابن ماجه في سننه عن أبي هريرة قال :

-والله لولا آيتان في كتاب الله ما حدثت عنه -يعني عن النبي صلى الله عليه وسلم- شيئا أبدا لولا قول الله (إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب)[31] إلى آخر الآيتين.[32]

تبعا لهذه الروايات فإن أبا هريرة لم يدفعه إلى التحديث بهذه الأحاديث إلا الخوف من كتمان العلم الوارد في المقطعين المذكورين من القرآن، فهو بذلك يعتبر أن ما عنده من الأخبار علم لا ينبغي كتمانه، وأنه المقصود في المقطعين من القرآن: (إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب، أولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللاعنون، إلا الذين تابوا و أصلحوا و بينوا فأولئك أتوب عليهم و أنا التواب الرحيم)[33].وهو بذلك يجعل الأخبار التي يبثها في الناس من البينات والهدى الذي بينه الله في الكتاب ، ولذلك فلا يجوز كتمانها، وهي روايات تخالف ما رواه أبو هريرة نفسه عن الأكياس والأوعية التي

---

[27] -سورة البقرة ، آية 159-160.

[28] -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، حديث 2179.

[29] -سورة البقرة ، آية 159-160.

[30] -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث4549.

[31] -سورة البقرة ، آية 174 .

[32] -سنن ابن ماجه ، المقدمة ، حديث 258.

[33] -سورة البقرة ، آية 159-160.

كتم ما فيها خوفا من "أن يقطع هذا البلعوم[34]"، فهل يخشى أبو هريرة الله أم الناس؟!.. وهل يكون منعه من "القص والتحديث" على عهد عمر وعثمان كتمانا للعلم كذلك؟!..

إذا كانت الأحاديث التي ينفرد بها أبو هريرة من البينات والهدى المبين في الكتاب ولا يحدث بها أحد من المهاجرين والأنصار، فهل كتموا هذا الجزء من الكتاب ؟! أم أن أبا هريرة كان وارث سر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعلمه به دونهم ، وكان منهم السابقون والمهاجرون والذين تبوءوا الدار والإيمان ؟ و لماذا لم يكن أبو هريرة مرجعا للصحابة في هذا العلم الخاص الذي آثره به دونهم ؟!.

ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم:

روى البخاري عن أبي هريرة :

-وأن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون[35].

-وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، فأشهد إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا (...) وكنت امرأ مسكينا من مساكين الصفة، أعي حين ينسون[36].

-وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، فأحضر حين يغيبون وأذكر حين ينسون[37].

-إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[38].

---

[34] -روى البخاري بسنده إلى أبي هريرة ، في كتاب العلم ، حديث 117، قال: حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاءين ، فأما أحدهما فبثثته وأما الآخر فلو بثثته قطع هذا البلعوم".

[35] -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115.

[36] -صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، حديث 1906.

[37] -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، حديث 2179.

وروى مسلم عن أبي هريرة :

-كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[39] .

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[40] .

-وإني كنت امرأ معتكفا وكنت أكثر مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحضر إذا غابوا وأحفظ إذا نسوا[41] .

إن هذه الروايات لتؤكد ملازمة أبي هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، مرة لكونه مسكينا يلازمه على ملء بطنه ، ومرة لكونه من مساكين الصفة ، ومرة لكونه يخدمه ، وأخرى لكونه امرأ معتكفا في المسجد ، وهو بذلك أكثر حضورا إذا غاب الصحابة مهاجرين وأنصارا، فيسمع ما لا يسمعون ، و يحفظ ما لا يحفظون .

والملاحظ أن الحديث عن هذه الملازمة إنما كان من أبي هريرة عن نفسه ، و لم نجد أحدا من الصحابة يتحدث عن هذه الملازمة و هذا الحضور ، بل لم نجد له عندهم ذكرا ولو عارضا ، أو أن أحدهم قد كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبو هريرة - ملازمه - حاضرا ، ولو مرة واحدة ، إلا ما كان من رواية حسان الشاعر وعبد الله بن عمر وهي تحتاج إلى مدارسة خاصة .

إن أبا هريرة هو الذي يتحدث عن صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وملازمته له ، ليبرر كثرة روايته ومخالفتها لغيره من الصحابة، وإن هذه الملازمة أمر من الأمور التي تعم بها البلوى ، وخصوصا في

---

[38] -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

[39] -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة . حديث 4547.

[40] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

[41] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث7380.

أواخر حياته صلى الله عليه وسلم ، فكيف يغفل الصحابة عنها ولا يذكرون أبا هريرة بها ، ولا يجعلون ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم من مناقبه ، وخصوصا أنه كان بحاجة شديدة لهذه الشهادة، فلا يضطر إلى أن يشهد لنفسه كلما وجهت إليه تهم الإكثار والتزيد . ولماذا لم يطلب أبو هريرة من الصحابة المتبقين أن يشهدوا على هذه الصحبة والملازمة ، وإنما اكتفى بشهادته على نفسه؟

إن مشكلة الناس الذين قالوا "أكثر أبو هريرة" هي : رواياته ، ولن يحل هذه المشكلة أن يضاف إلى هذه الروايات رواية أخرى ينفرد بها كذلك ، بل لا بد من شهادة غيره على ملازمته للرسول صلى الله عليه وسلم وحضوره ، وهو أمر غير موجود ، رغم توفر أسبابه وتوافر دواعيه.

إن هذه الشهادة/ الرواية التي قدمها ، بدل أن تشهد وتحسم الخلاف في مسألة إكثاره ، أضافت إليه عناصر جديدة تؤجج الإشكال، وعلى رأسها خصوصية الملازمة والحضور التي لا يشهد بهما أحد. ولو كان الأمر كذلك لشهد الصحابة كلهم عليه ، ولجعلوا أبا هريرة مرجعا لهم لما رأوا له من هذه الخصوصية. بل إن قولهم " أكثر أبو هريرة" لن يطرح من أساسه .

إن التصور الذي تنبني عليه هذه الرواية هي كون النبي صلى الله عليه وسلم مهمته تحديث الناس في المسجد ، وأن أكثر الناس ملازمة له هم المعتكفون فيه ، فبينما يذهب عموم الناس بعد سماع الخطبة والحديث إلى منازلهم وأشغالهم ، ينفرد الرسول صلى الله عليه وسلم بخاصته من المعتكفين والعاطلين والمساكين الذين يحضرون عندما يغيب الناس ، وهو تصور إذا كان يتناسب مع عصر الرواية الشفوية حيث التحديث والجمع والحفظ ، والعلماء والوعاظ والقصاص الذين يلازمون المساجد والجوامع ويقبلون التبرعات والصدقات ، فإنه لا يتناسب مع زمن الرسالة وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم، وخصوصا في

أواخر حياته وبعد مجيء النصر العظيم والفتح المبين وانتشار دعوتـه ، إذ كانت الوفود تأتيه من كل مكان ، وكانت مهام الدعوة والتعليم لا تمثل إلا إحدى مهامه ، فهو الرئيس والقائد العسكري ، والإمام والقـاضي والرسول ، كما هو الإنسان الذي له بيت وأزواج وذرية ، وله أقـارب وأصحاب وعلاقات محلية ودولية ، دينية ودنيوية .. ومن كانت هـذه بعض مهامه ، فإنه لا يجد الوقت الكافي للقيام بها ، بله أن يتفرغ للرواية والتحديث ، فإذا ذهب أصحاب الأشغال والأموال إلى مشاغلهم بقـي مع الذين لا مشغلة لهم ولا أموال يخصهم بالعجائب والغرائب والأسرار.

انشغال المهاجرين والأنصار بأسواقهم وأموالهم :

روى البخاري عن أبي هريرة قال :

-إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم[42].

-وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم صفق بالأسواق (...) وكـان يشغل أخوتي من الأنصار عمل أموالهم[43].

-وإن إخوتي من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق ،وإن إخـوتي من الأنصار كان يشغلهم عمل أموالهم[44].

-وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم[45].

وروى مسلم عن أبي هريرة قال :

-وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم[46].

---

[42] -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115.

[43] -صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، حديث 1906 .

[44] -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، حديث 2179.

[45] -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم [47] .

-وأن أصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم في الأسواق ، وأن أصحابي من الأنصار كانت تشغلهم أرضوهم والقيام عليها [48] .

إن أبا هريرة يرد دعاوى المتهمين له بالإكثار ، بكونه لم يكن منشغلا بمال ولا تجارة تمنعه من حضور مجالس التحديث ، التي كان يتغيب عنها المهاجرون والأنصار لكونهم منشغلين بأموالهم وتجاراتهم .

ويثير هذا الرد إشكالات كثيرة منها : أن أبا هريرة لم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم - حسب روايته - إلا ثلاث سنين ، بينما صحبه غيره من المهاجرين والأنصار ما يصل إلى سنوات عديدة تزيد على العقد أو العقدين من الزمن . ومنهم من له به علاقة قرابة ومصاهرة وصحبة وخدمة وجوار ، وغير ذلك مما يدعوهم إلى الاحتكاك به أكثر منه ، وتشهد الروايات المختلفة لهم ولغيرهم على ملازمتهم للرسول صلى الله عليه وسلم . ورغم ذلك فلا يحدثون بمثل أحاديثه؟!..

ومن هذه الإشكالات أن هذه الملازمة لا يشهد بها المهاجرون والأنصار ، ولو كان الأمر كذلك لشهدوا ، ولكنهم لا يعلمون عنه شيئا ، ولم نجد عنه ، فيما يتعلق بالسنوات التي يقول أنه لازم النبي صلى الله عليه وسلم فيها أي أثر يذكر إلا ما يرويه عن نفسه في فتح مكة وغزوة خيبر ، كما لم نجد له في الأحداث التي كانت عند وفاته صلى الله عليه وسلم وبعدها أي أثر كذلك . فلم يشارك في احتضاره صلى الله عليه وسلم ولا جنازته ولا دفنه ولا في اختيار الخليفة الأول ولا الثاني ولا غيرها من الأحداث التي كان لملازمي النبي صلى الله عليه

---

[46] -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547 .

[47] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

[48] - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

وسلم فيها أثر كبير وذكر عظيم . وهو ما لم يذكره أحد و لم يشهد بـه ولا أبو هريرة عن نفسه .

وهناك إشكال آخر وهو إذا كان للأنصار والمـهاجرين أشـغال وأموال تمنعهم من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أفلم يكـن للرسول صلى الله عليه وسلم مهام وأشغال تمنعه مـن " ملازمـة " أبي هريرة ؟! أم أن أبا هريرة هو أكبر هم رسول الله صلى الله عليه وسـلم وأعظم شغله؟! أم أنه صلى الله عليه وسلم كان معتكفا هو الآخـر في المسجد لا يبرحه إلا مرفقا بأبي هريرة ؟!..

مع عائشة أم المؤمنين:

روى ابن سعد في طبقاته عن سعيد الأموي قال : قالت عائشـة لأبي هريرة : إنك لتحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم حديثا ما سمعته منه، فقال أبو هريرة : يا أمه طلبتها وشغلك عنها المرآة والمكحلة ، ومـا كان يشغلني عنها شيء"[49] .

وقال صاحب "الإصابة" : " وأخرج بن سعد بسند جيد عن بن عمر بن سعيد بن العاص قال قالت عائشة لأبي هريرة إنك لتحـدث بشيء ما سمعته ، قال يا أمه طلبتها وشغلك عنها المكحلة والمرآة ومـا كان يشغله عنها شيء ، والأخبار في ذلك كثيرة"[50] .

وروى الذهبي في سيره قال : "دخل أبو هريرة على عائشة فقالت له أكثرت يا أبا هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يا أمـه ما كانت تشغلني عنه المرآة والمكحلة ولا الدهن ، قالت : لعله"[51] .

وتبعا لهذه الروايات فإن أمنا عائشة رضي الله عنها - زوج النـبي صلى الله عليه وسلم - كانت من بين المحتجين على أبي هريرة وكـثرة

---

[49] -طبقات ابن سعد ج2 ص364.

[50] -الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني ج7 ص440.

[51] -سير أعلام النبلاء للذهبي ، ج2 ص604.

روايته ، وأكدت أنه كان يحدث بأحاديث ما سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولعل هذه الروايات قد أرادت أن ترد على الاتهام بدعوى أن عائشة رضي الله عنها كانت منشغلة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمرآتها ومكحلتها ودهنها ، ورغم ما في هذا الجواب من التعريض بأمنا عائشة رضي الله عنها وسوء الأدب معها ، فإنه لا يستطيع أن يبرر إكثار أبي هريرة للحديث ، بل إنه يزيد التهمة قوة ورسوخا ، وذلك أن مرآة أمنا عائشة ومكحلتها ودهنها لم تكن تشغلها عنه صلى الله عليه وسلم ، وإنما كانت تشغلها به ، ولذا كانت تأتيها نساء المؤمنين وبناتهم للسؤال عن هذا الجانب الذي ما كان لأبي هريرة أن يطلع عليه مهما أوتي من ملازمة وحفظ معجزين ؛ وإذا كان أبو هريرة معتكفا في المسجد ، فإن حجرة عائشة لم يكن يفصلها عن المسجد إلا جدار كان أبو هريرة نفسه ـ عندما أصبح محدثا ـ يتكئ عليه ليسمع عائشة رضي الله عنها حديثه الذي عبرت عن استنكارها له واستكثاره ، حيث كان يقول لها ـ حسب الرواية ـ أتنكرين من هذا شيئا.

فهي إذن كانت تعاشر رسول الله صلى الله عليه وسلم في البيت وتنصت إليه في المسجد الذي ادعى أبو هريرة أنه كان معتكفا فيه ، وكانت تسمع ما لم يسمعه الصحابة الآخرون الذين انشغلوا بأموالهم وأسواقهم ـ حسب دعوى أبي هريرة – ، بل إنها رضي الله عنها ما غاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا حديثه عنها منذ عقلت هذا الوجود ، إذ أن أباها هو أبو بكر الصديق وهو من أوائل المؤمنين به مذ كان الإسلام غريبا ، وكان صاحبه بامتياز ، وهو الذي وهب نفسه ونفيسه وأهله ووقته لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومنها ابنته عائشة الصديقة البتول، وقد تربت رضي الله عنها في أحضان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتزوجته و لم تبلغ الحلم بعد ، قال الذهبي : "هاجر بعائشة أبواها ، وتزوجها نبي الله قبل مهاجره بعد وفاة الصديقة خديجة

بنت خويلد، وذلك قبل الهجرة ببضعة عشر شهرا ، وقيل : بعامين ، ودخل بها في شوال سنة اثنتين ، منصرفه عليه الصلاة والسلام من غزوة بدر ، وهي ابنة تسع "[52]. لقد رباها رسول الله عليه وسلم وشاهدت معه من أيامه ومغازيه وشمائله وأسراره ما لا قبل لأبي هريرة به ، و لم يكن لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يخفي عنها رضي الله عنها وهي ملازمته الأولى شيئا ويسره لأبي هريرة دونها وهو من أسس الدين ، وحتى وإن أخبره به فإنه لن يكتمه عنها وعن كل الأصحاب من المهاجرين والأنصار ومنهم صاحبه أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب ، هذا وإن أبا هريرة -حسب دعواه- لم يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ثلاث سنين بعد غزوة خيبر ، فكيف يكون أكثر منها رواية وأعلم منها بحديثه صلى الله عليه وسلم وهي إنما كانت زوجه عليه السلام قبل الهجرة ، وكانت فيمن هاجر، ومن ثم وهي ملازمته الأولى دون منازع؟

إن مقارنة بسيطة بين رواية أبي هريرة ورواية عائشة رضي الله عنها لتكشف عن نوع العلاقة الموجودة بين كل منهما ورسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعائشة رضي الله عنها تروي لنا كيفية حياته في يومه وليلته ، كيفية صلاته وقيامه وصيامه وطعامه وشرابه ونومه وصحته ومرضه وعشرته وعلاقته بأزواجه وجيرانه وأقربائه، وأخلاقه وسلوكه، ودعوته واحتضاره وموته ودفنه صلى الله عليه وسلم ، ورغم ورود مثل بعض هذه الأخبار عن أبي هريرة فهي قليلة ، وهي تتسم بالإعجاز والعجائبية ، فهو عندما لقيه لأول مرة كان له غلام فضاع له، فلما أسلم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أهذا غلامك ؟ قال نعم ! وأعتقه في سبيل الله ". وهو عندما هاجر هاجر مع أمه ، وكانت تسب رسول الله عليه السلام ، فجاء إلى رسول الله صلى الله

---

[52] -سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2 ص135 (مؤسسة الرسالة ، ط 7 ،1990)

عليه وسلم وهو يبكي من أجل ذلك ، فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهداية ، فما أن وصل البيت حتى سمع خشخشة الماء ووجدها تتوضأ للصلاة. فسأل رسول الله ألا يراهما أحد هو وأمه إلا أحبهما ، وكذلك كان. وكلفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراسة التمور ، وجاءه رجل فشكا له جوعه وفاقته وفقر عياله ، فرق لحاله وأعطاه من التمر ، ولما عاد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر قال له: إن ذلك لشيطان ، وأنه سيعود إليه مرة أخرى ، وكذلك كان . وعاد إلى النبي عليه السلام وأخبره الخبر ثانية فأخبره أنه سيعود للمرة الثالثة ، وكذلك كان ، فلما ضبطه أبو هريرة علمه الآية التي تقضي على الشياطين وهي آية الكرسي. ولما ذهب مع النبي صلى الله عليه وسلم إلى وليمة رفع النبي صلى الله عليه وسلم الكتف وكانت أحب الطعام إليه، ونهس منها نهسة ثم بدأ يحدث بحديث الشفاعة الطويل .وجل علاقة أبي هريرة مع رسول الله عليه الصلاة والسلام هي علاقة إعجاز ، فهو قد جمع النمرة فأصبح يحفظ ولا ينسى ، وكثر له ولأهل الصفة في الليلة ذات المسغبة اللبن حتى كفاهم جميعا . وأعطاه جراب التمر الذي بقي يأكل منه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم وغيرها من أحاديث الإعجاز التي لا يرويها إلا هو عن نفسه، أما عن بقية أحاديثه فهي عبارة عن أخبار تتعلق بالأمم السالفة أو الفتن الآتية أو الغيوب المستورة ، كما هي فضائل تتعلق بأشخاص أو قبائل أو طوائف ، كفضل دوس (قلت لن يسألني عن هذا الأمر إلا دوسي) ، وفضل قريش ووجوب الإمارة فيها (الأئمة من قريش) ، وفضل ابني عمرو بن العاص (ابنا العاص مؤمنان) وفضل اليمن (اليمن يمان والحكمة يمانية ، أتاكم أهل اليمن هم أرق قلوبا) ، كما هي أحكام تتعلق بأمور مختلفة منها: جواز التحديث عن بني إسرائيل (حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج)، أو وجوب الخضوع للإمام وملازمة الجماعة (من خرج عن الجماعة قيد شبر خلع ربقة الإسلام من عنقه) . ومقابل هذه

الأحاديث لم يذكر لنا شيئا عن أيامه صلى الله عليه وسلم وحياته اليومية وعلاقاته العامة والخاصة، و مرضه واحتضاره وموته صلى الله عليه وسلم شيئا ، وكأنه لم يكن موجودا -وهو الملازم الحريص على الرواية - أو أن حدث الوفاة لا يعني له شيئا، فلم ندر كيف استقبل هذا الحدث وما الذي ترتب عنه بالنسبة إليه وهو يفقد الشخص الذي لازمه على ملء بطنه ، كما هو الشأن بالنسبة لعائشة رضي الله عنها ، وبالنسبة للملازمين الآخرين ، والذين رويت عنهم أخبار كثيرة سواء فيما يتعلق بوفاته عليه السلام أو بدفنه ، أو بخلافته . إن هذه المقارنة البسيطة بين روايات أبي هريرة وروايات عائشة لتبين أن سبب إكثار أبي هريرة للرواية لا علاقة له بما ذكره هو عن نفسه من ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم وانشغال عائشة رضي الله عنها والمهاجرين والأنصار بغير ما انشغل به هو..

يحفظ فلا ينسى :

روى البخاري عن أبي هريرة قال:

-وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه ويحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون [53].

-يا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إني أسمع منك حديثا كثيرا أنساه، قال ابسط رداءك فبسطته ، قال : فغرف بيديه ثم قال : ضمه ، فضممته فما نسيت شيئا بعده [54].

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث يحدثه أنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول ، فبسطت نمرة علي حتى إذا قضى صلى الله عليه وسلم مقالته جمعتها إلى

---

[53] -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 115.

[54] - صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 116.

صدري ، فما نسيت من مقالة رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك من شيء[55].

- وقال النبي صلى الله عليه وسلم يوما لن يبسط منكم أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي هذه ثم يجمعه إلى صدره فينسى من مقالتي شيئا أبدا فبسطت نمرة كانت علي، ليس علي ثوب غيرها حتى قضى النبي صلى الله عليه و سلم ثم جمعتها إلى صدري، فوالذي بعثه بالحق ما نسيت من مقالته تلك إلى يومي هذا.[56]

-قلت يا رسول الله إني سمعت منك حديثا كثيرا فأنساه ، قال ابسط رداءك فبسطت فغرف بيده فيه ثم قال : ضمه ، فضممته فما نسيت حديثا بعد[57].

-فشهدت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم ، وقال من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه ، فلن ينسى شيئا سمعه مني ، فبسطت بردة كانت علي فوالذي بعثه بالحق ما نسيت شيئا سمعته منه[58].

وروى مسلم عن أبي هريرة :-فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من يبسط ثوبه فلن ينسى شيئا سمعه مني ، فبسطت ثوبي حتى قضى حديثه ثم ضممته إلى فما نسيت شيئا سمعته منه[59].

-قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أيكم يبسط ثوبه فيأخذ من حديثي هذا ثم يجمعه إلى صدره فإنه لم ينس شيئا سمعه ، فبسطت بردة

---

[55]- صحيح البخاري ، كتاب البيوع ، حديث 1906.

[56] -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة ، حديث 2179.

[57] -صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، حديث 3375.

[58] -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

[59] -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547.

علي حتى فرغ من حديثه ثم جمعتها إلى صدري فما نسيت بعد ذلك اليوم شيئا حدثني به[60] .

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-فحضرت من النبي صلى الله عليه وسلم مجلسا فقال : من يبسط رداءه حتى أقضي مقالتي ثم يقبضه إليه فلن ينسى شيئا سمعه مني ، وبسطت بردة علي حتى قضى حديثه ثم قبضتها إلي ، فوالذي نفسي بيده ما نسيت شيئا بعد أن سمعته منه[61] .

-وأن النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال : من يبسط ثوبه حتى أفرغ من حديثي ثم يقبضه إليه ، فإنه لن ينسى شيئا سمعه مني أبدا ، فبسطت ثوبي أو قال نمرتي ثم قبضته إلي[62] .

- سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ألا من رجل يأخذ بما فرض الله ورسوله ، كلمة أو كلمتين أو ثلاثا أو أربعا أو خمسا فيجعلهن في طرف ردائه فيتعلمهن ويعلمهن ، قال أبو هريرة فقلت: أنا يا رسول الله قال : فابسط ثوبك ، قال : فبسطت ثوبي فحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال ضم إليك فضممت ثوبي إلى صدري[63] .

تبعا لهذه الروايات فإن أبا هريرة يحفظ فلا ينسى لأنه بسط رداءه لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جمعه إلى صدره كما أشار إليه النبي الكريم صلى الله عليه وسلم . فهي معجزة نبوية إذن ، والملاحظ أن هذا الحدث المعجز، والذي تبين الروايات أنه كان في مجمع من الصحابة، وبحضورهم لم يروه إلا أبو هريرة عن نفسه ، وفي معرض رده على الناس القائلين "أكثر أبو هريرة " . إن هذه المعجزة أكبر من أن "ينساها " الصحابة الذين حضروا ، والذين قال لهم الرسول صلى الله

---

[60] -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4549.

[61] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

[62] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث7300.

[63] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 8057 .

عليه وسلم "أيكم يبسط ثوبه " و لم يبسطوا ثيـــابهم ؟! إن هـــؤلاء لا محالة سيندمون لأنهم لم يبادروا كما بادر أبو هريرة فيدركوا ما أدرك ؟! ومن ثم فلن ينسوا أبدا هذا الحدث ؟! إن هذا الأمر لو حدث لأصبح به أبو هريرة مرجعا لهم في ما نسوا من الأخبار والأحاديث ، ولســـموه " صاحب النمرة أو الرداء" تخليدا لهذه المعجزة العظيمة ..وعليـــه فـــإن الذين رفضوا إكثاره واشتكوا منه لن يعتبروا هذا الحديث إلا واحدا مـــن "غرائبه" و خبرا من أخبار " وعائه" الذي لو بثه " لقطعوا هذا البلعوم". إن حضور أبي هريرة وعدم حضور غيره كاف ليحفظ ما لا يحفظـــون ، غير أنه يريد أن يؤكد أنه لا يمتاز بالحضور فقط ، وإنما بالحفظ المعجـــز الذي يجعله لا ينسى شيئا ، وبذلك يجيب على سؤال : لماذا لم يحـــدث الأنصار والمهاجرون بمثـــل حديثـــه ؟ فيقـــول : كنـــت أحضـــر ولا يحضرون ، وإذا حضروا فإنهم ينسون ولا أنسى لأن الرسول صلـــى الله عليه وسلم خصني بمعجزة الحفظ دونهم ، ومن ثم فلا حجة لهم علي وأنا لي عليهم الحجة البالغة.

إن أبا هريرة -انطلاقا من هذه الردود - لم يستطع إقناع المشـــتكين من إكثاره بما يذهب إليه من تبريرات لا يشهد بها إلا هو عن نفســـه ، فالملازمة للرسول صلى الله عليه وسلم تحتاج إلى شهود ، والمشتكون من إكثاره إنما هم أهل زمانه ، وهم الصحابة والتابعون ، والخـــوف مـــن كتمانه للعلم يناقضه كتمانه للأكياس التي لـــو بثـــها " لقطـــع هـــذا البلعوم " أو " لرميتموني بالقشع " وانشغال المهاجرين والأنصار بأموالهم وتجارهم، لن يجعله أقرب لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ملازميـــه وأعوانه وخدامه وفتيانه وأقربائه وأزواجه وأصهاره وغيرهم ممن لم يـــرو عشر معشار ما رواه أبو هريرة . وأما تخصيصه بمعجزة الحفظ فتحتـــاج هي الأخرى إلى شهود ، لا أن يشهد هو على نفسه في معرض اتهامه .

بل إن هذه الردود بدل أن تبرئ ساحته من تهمة الإكثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أو تبررها ، فإنها أكدت إكثاره و لم تبرره، وإنما أثارت به مجموعة من الإشكالات حول شخصه وروايته .

بين أبي هريرة وعبد الله بن عمرو بن العاص:

روى البخاري بسنده عن أبي هريرة قال :

-ما من أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عنه مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب ولا أكتب [64].

وروى الترمذي بسنده إلى أبي هريرة قال :

-ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب [65].

-ليس أحد أكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ، إلا عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب و كنت لا أكتب [66].

-ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني ، إلا ما كان من عبد الله بن عمرو ، فإنه كان يكتب بيده ويعيه بقلبه ، وكنت أعيه بقلبي ولا أكتب بيدي ، واستأذن رسول الله صلى الله عليه في الكتاب عنه فأذن له [67].

وروى الدارمي عن أبي هريرة قال :

---

[64] -صحيح البخاري ، كتاب العلم ، حديث 110.

[65] -سنن الترمذي ، كتاب العلم ، حديث 2592.

[66] -سنن الترمذي ، كتاب المناقب ، حديث 3776. مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين، حديث 7084 .

[67] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 8863 .

-ليس أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم مني إلا ما كان من عبد الله بن عمرو فإنه كان يكتب وكنت لا أكتب[68].

وتذهب هذه الروايات جميعا إلى كون عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر رواية من أبي هريرة لكونه يكتب وأبو هريرة لا يكتب ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أذن له في الكتاب . فتكون الكتابة معينا للقلب على الوعي والحفظ ، بينما يعتمد أبو هريرة على الحفظ وحده دون الكتابة مما يجعله في الدرجة الثانية من حيث كثرة الحديث .

ولعل هذا المعنى الذي ذهبت إليه الروايات ، يثير لدينا مجموعة من الإشكالات التي تضاف إلى ما سبقها في الفقرات الماضية .

ومن ذلك:أن أبا هريرة إذا كان سبب إكثاره من الرواية هو ما رواه عن نفسه من ملازمة دائمة للرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره من الصحابة ، ومن نعمة الحفظ الخاصة التي نالها عندما جمع أطراف ثوبه أو نمرته بسبب المعجزة النبوية .

فكيف لعبد الله بن عمرو بن العاص الذي لم يسلم إلا بعد أبي هريرة -حسب الروايات- و لم يلقه إلا بعد فتح مكة ، و لم يلزمه ملازمة أبي هريرة ، ولا ملازمة غيره من الأصحاب والأقارب والأعوان والأزواج ، ولا بسط رداءه ولا نمرته ، أن يكون أكثر رواية منه -باعترافه- ثم ما دخل الكتابة في الموضوع ،فأبو هريرة يحضر ويحفظ ولا ينسى - حسب دعواه - ، فإذا كان عبد الله بن عمرو لا يحضر كما يحضر أبو هريرة فلن يكتب ما لم يحضره ، ولو كتبه لما كان أكثر من أبي هريرة الذي لن ينساه سواء أكتبه أم لم يكتبه ! فمعجزة الحفظ تلازمه وهي أقوى من الكتابة.

---

[68] -سنن الدارمي ، المقدمة ، حديث 483.

إن مسألة كتابة عبد الله بن عمرو تثير في موضوع عدم نسيان أبي هريرة مشاكل جمة ، تؤدي بانضمامها إلى عدم شهادة غير أبي هريرة عليها إلى اكتشاف خلل عظيم في رواياته..

إن واقع الرواية عند أبي هريرة يشهد بعكس ما تذهب إليه هذه الروايات من تغليب رواية عبد الله بن عمرو على رواية أبي هريرة ، بحيث أن مجموع روايات عبد الله بن عمرو في الكتب التسعة لا تتجاوز 1315 رواية على 62169 رواية – حسب ترقيم العالمية – ، وهو ما يمثل 2.1 % من مجموع الأحاديث ، بينما تمثل روايات أبي هريرة هذا المقدار سبع مرات ، أي 14.05 % من مجموع الأحاديث في الكتب التسعة .

وهذا لا يعني أن أحاديث أبي هريرة لم تكن في فترة من الفترات أقل من أحاديث عبد الله بن عمرو بن العاص ، بل هذا هو الذي يمكنه تفسير التناقض الموجود بين الروايات ، فعندما كان عبد الله بن عمرو بن العاص أكثر رواية ذكر أبو هريرة هذا الحديث ، وعندما تجاوزت روايات أبي هريرة كل الصحابة – وهو ما كان يطمح إليه – وملأت رواياته الآفاق ، كانت ردوده التي تطرقنا إليها ، والتي تحاول تبرير إكثاره ، والتي كشفت عن الطابع القصصي والعجائبي الذي يطبع مروياته وأخباره.

بشبع بطني:

الملاحظ في روايات أبي هريرة المتعلقة بملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هي إثارته لقضية الملازمة على ملء بطنه .

فعند البخاري قال أبو هريرة :

-وأن أبا هريرة كان يلزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطنه[69] .

-وكنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[70] .

---

[69] -صحيح البخاري ، كتاب العلم، حديث 115 .

-وكنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[71].

- إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[72].

وعند مسلم قال أبو هريرة:

-كنت رجلا مسكينا أخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[73]

وعند الإمام أحمد قال أبو هريرة :

-إني كنت امرأ مسكينا ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني[74].

و لم يكن الاستطعام لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقط ، وإنما كان لغيره من الناس.

روى البخاري عن أبي هريرة قال:

-وإني كنت ألزم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشبع بطني حتى لا آكل الخمير ولا ألبس الحبير ولا يخدمني فلان ولا فلانة، وكنت ألصق بطني بالحصباء من الجوع ، وإن كنت لأستقرئ الرجل الآية هي معي كي ينقلب بي فيطعمني ، وكان أخير الناس للمسكين جعفر بن أبي طالب ، كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى أن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقها فنلعق ما فيها[75].

---

[70] -صحيح البخاري ، كتاب البيوع، حديث1906.

[71] -صحيح البخاري ، كتاب المزارعة، حديث 2179.

[72] -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6807.

[73] -صحيح مسلم ، كتاب فضائل الصحابة ، حديث 4547.

[74] -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 6976.

[75] -صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، حديث 3432. وانظر كتاب الأطعمة ، حديث 5012 .

-كنا عند أبي هريرة وعليه ثوبان ممشقان من كتان فتمخط فقال : بخ بخ ، أبو هريرة يتمخط في الكتان ، لقد رأيتني وإني لأخر فيما بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حجرة عائشة مغشيا علي ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقي ويرى أني مجنون وما بي من جنون إلا الجوع [76].

وروى البخاري والترمذي وأحمد من حديث أبي هريرة أنه قال :

-أصابني جهد شديد فلقيت عمر بن الخطاب ، فاستقرأته آية من كتاب الله فدخل داره وفتحها علي فمشيت غير بعيد ، فخررت لوجهي من الجهد والجوع ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على رأسي ، فقال : يا أبا هريرة ، فقلت لبيك يا رسول الله وسعديك ، فأخذ بيدي فأقامني وعرف الذي بي فانطلق بي إلى رحله، فأمر لي بعس من لبن فشربت منه ، ثم قال عد يا أبا هر فعدت فشربت ثم قال عد فعدت فشربت حتى استوى بطني فصار كالقدح [77].

وعن أبي هريرة قال :

-أالله الذي لا إله إلا هو إن كنت لأعتمد بكبدي على الأرض من الجوع ، وإن كنت لأشد الحجر على بطني من الجوع ، ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه ، فمر أبو بكر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر فلم يفعل ، ثم مر بي عمر فسألته عن آية من كتاب الله ما سألته إلا ليشبعني فمر ولم يفعل ، ثم مر بي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم ، فتبسم حين رآني وعرف ما في نفسي وما

---

[76] -صحيح البخاري ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة ، حديث 6779 ، وسنن الترمذي ، كتاب الزهد ،حديث 2290 .

[77] -صحيح البخاري ، كتاب الأطعمة ، حديث 4956 .

في وجهي ، ثم قال يا أبا هر، قلت لبيك يا رسول الله ، قال الحق ومضى فتبعته فدخل فاستأذن فأذن لي فدخل فوجد لبنا في قدح[78].

إن الجوع الذي يحكي عنه أبو هريرة كان عظيما ، وأبو هريرة يلزم رسول الله على ملء بطنه ، ويلصق بطنه بالحصباء من الجوع ، ويخر من الجهد والجوع مغشيا عليه ، فيجيء الجائي فيضع رجله على عنقه ، ويرى أنه مجنون وما به من جنون إلا الجوع . وإنه كان ليشد الحجر على بطنه من الجوع ، ويسأل الصحابة عن الآية من القرآن ما يريد إلا استطعامهم ، ويمر به أبو بكر ثم عمر ولا يفقهان إلى مراده ، حتى يمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيذهب به ليعطيه اللبن .. و لم يكن هذا الأمر خاصا به ، وإنما هي مجموعة من الفقراء والمساكين كانت معتكفة في المسجد على ملء بطنها .. وكان أخير الناس لها جعفر بن أبي طالب إذ كان ينقلب بهم إلى بيته ، فيخرج لهم الموجود فيه، حتى إن كان ليخرج إليهم العكة ليس فيها شيء فيشقوها ثم يلعقوها..

إن هذه الصورة المؤلمة للجوع الذي كان بعد خيبر يختص بها أبو هريرة ، فهل كان هذا الجوع ساريا على كل أهل المدينة، أم أنه كان خاصا بأهل الصفة ، الذين هم - كما تقول الرواية - أضياف الإسلام ، هل كان أهل المدينة بمثل هذا البخل بعد خيبر ، وهم الذين تبوءوا الدار والأيمان ، وآثروا على أنفسهم زمن الهجرة ولو كان بهم خصاصة ؟!.. فهل بعد الفتح المبين والنصر و التمكين يتركون " أضياف الإسلام " للجوع والاستطعام؟..

ومن هم أضياف الإسلام هؤلاء ، الذين سموا بأهل الصفة ؟ إننا لا نعرف عنهم شيئا إلا من روايات أبي هريرة ، ما هي أسماؤهم ؟

---

[78] -صحيح البخاري ، كتاب الرقاق ، حديث 5971. ومسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 10263 . وسنن الترمذي ، صفة القيامة والرقائق والورع، حديث 2401 .

أو أسماء بعضهم غير أبي هريرة ؟ لماذا لا يتحدثون عن أنفسهم ويقولون نحن أضياف الإسلام الذين لا شغل لنا إلا انتظار الصدقات في المسجد النبوي؟ وهل كان محمد صلى الله عليه وسلم يبارك تجمعهم هذا ، وبينما يذهب الأنصار والمهاجرون إلى أسواقهم وأموالهم يبقى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع خاصته : هؤلاء؟ وعلى رأسهم أبو هريرة؟! لماذا لا يتحدث إلا أبو هريرة عنهم ، أليسوا هم الأصحاب الحقيقيون - تبعا لرواية أبي هريرة - الملازمون له صلى الله عليه وسلم ؟! من يعرفهم ؟ من يعرف أسماءهم ؟ ألم يقل لهم الرسول صلى الله عليه وسلم يوما : " اخرجوا من هذه المسكنة والذلة التي أنتم فيها ، واكسبوا قوتكم من عرق جبينكم ، فإن الإسلام الذي جئتكم به لا يصنع "المعتكفين المتسولين" ، وإنما يصنع "العباد العاملين ذوي الأيد "؟!

ألم يكن الرسول صلى الله عليه وسلم - وهو يحدثهم - يتوجه إليهم بالخطاب فيقول لهم : إنما جئت لأتمم مكارم الأخلاق ، ومنها العمل والإنفاق والمسارعة في الخيرات ونفع العباد ، ولم آتكم لأجعلكم أوعية لنقل أخبار الحاضرين والسالفين دون أن يكون لذلك أي تأثير في حياتكم وسلوككم .؟!

إن هذه المجموعة من الناس - التي أخبر عنها أبو هريرة ، والتي بلغت بها المجاعة مداها ، حتى إن جعفر بن أبي طالب الذي كان أخير الناس لهم ، وكان يخرج إليهم العكة ليس فيها شيء ، فيشقونها ويلعقون ما فيها ؛ إنما هي صياغة قصصية عجائبية مبالغ فيها ، تعبر عن التصور المنبثقة عنه ، وهو تصور رواة القصص والأخبار الذين كانوا يرون أن الإسلام إنما هو قصص ومواعظ وغرائب ، وعكوف ومسكنة ومساجد، وأن هذا هو ما كان على عهد النبي صلى الله عليه مسلم والذين معه..

هذا -وإن الطعام والاستطعام - هو هم أبي هريرة ، فهو إنما يسألهم الآية من القرآن وهي عنده ما يريد منهم إلا أن يطعموه ، ويمر أبو بكر وعمر ولا ينتبهان له ، ويمر رسول الله صلى الله عليه وسلم

فيأخذه ويطعمه ، إن مثل هذا التوجيه ليجعل الصحابة لا يأبه بعضهم ببعض ، إذ كيف أن أحدهم ، وهو من أضياف الإسلام ، يكاد يموت جوعا حتى يغشى عليه ، ويمر خيرة الصحابة عليه ولا يدركون ما هو فيه ، إنهم – حسب هذا الإدعاء – لا يهمهم أمر الفقير والمسكين، هذا عن خيرهم فكيف بعامتهم ؟

أما أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد انتبه لأمره وأطعمه وأصحاب الصفة من اللبن العجيب ، فإنه يخالف ملازمة أبي هريرة له على طعام بطنه ، فكيف يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم على هذا الطعام ويتركه النبي صلى الله عليه وسلم يتضور جوعا حتى الموت ؟! وحتى يجيء الجائي فيضع رجله على عنقه ظنا منه أنه مجنون وما به من جنون إلا الجوع؟! فهو إما لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام عليه السلام بواجب الملازمة ، والذي هو الإطعام . وإما أنه لم يكن ملازما له وإنما كان يجلس على طريقهم يستقرئهم من أجل أن يطعموه، فيمر أبو بكر ثم عمر – بهذا الترتيب – ثم رسول الله عليه السلام فيطعمه، وإذا جاء جعفر بن أبي طالب والذي كان خيرهم للمساكين أخذه ومن معه إلى بيته .؟!

إن الرسول صلى الله عليه وسلم – حسب هذه الروايات – هو نفسه كان يعاني من الحاجة والفقر ، فكان يرجع إلى بيته فلا يجد إلا وعاء اللبن المهدى إليه، فيقوم بمعجزة إكثار اللبن حتى يشرب منه أهل الصفة جميعا ، ثم أبو هريرة ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يشرب من فضلهم جميعا .

وقصة تكثير اللبن هذه كذلك من خصوصيات رواية أبي هريرة ، والمشكلة أننا لا نعرف أحدا من أهل الصفة حتى نسأله عن هذه المعجزة التي لا يشهد بها أحد إلا أبو هريرة .

مع ابنة غزوان:

روى ابن ماجة بسنده إلى أبي هريرة قال :

-نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي أحطب لهم إذا نزلوا ، وأحدو لهم إذا ركبوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وجعل أبا هريرة إماما [79].

وروى ابن سعد في طبقاته عن أبي هريرة قال :

- بخ بخ يتمخط أبو هريرة في الكتان لقد رأيتني أخر فيما بين منبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وحجرة عائشة ، ويجيء الجائي يرى أن بي جنونا وما بي إلا الجوع ، ولقد رأيتني وإني لأجير لابن عفان وابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي ، أسوق بهم إذا ارتحلوا وأخدمهم إذا نزلوا ، فقالت يوما لتردنه حافيا ولتركبنه قائما ، فال فزوجنيها الله بعد ذلك ، فقلت لها لتردنه حافية ولتركبنه قائمة [80].

روى أبو نعيم في حليته عن أبي هريرة قال :

-نشأت يتيما وهاجرت مسكينا وكنت أجيرا لابنة غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي أحدو بهم إذا ركبوا واحتطب إذا نزلوا ، فالحمد لله الذي جعل الدين قواما وأبو هريرة إماما [81].

-عن أبي هريرة أنه صلى بالناس يوما فلما سلم رفع صوته فقال : الحمد لله الذي جعل الدين قواما وجعل أبا هريرة إماما بعد أن كان أجيرا لابنة غزوان على شبع بطنه وحمولة رجله [82].

ولما سئل أبو هريرة -مرة-عن سبب تكبيره قال : -على أن كنت أجيرا لبسرة بنت غزوان بعقب رجلي وطعام بطني ، وكان القوم إذا

---

[79] -سنن ابن ماجه ، كتاب الأحكام ، حديث رقم 2436.

[80] الطبقات الكبرى لابن سعد ، ج 4، ص 326 .

[81] -حلية الأولياء ، لأبي نعيم، ج1ص379.

[82] -حلية الأولياء ، لأبي نعيم، ج1 ص380. وانظر سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2 ص611.

ركبوا سقت بهم ، وإذا نزلوا خدمتهم ، فزوجنيها الله فهي امرأتي ، وأنا إذا ركب القوم ركبت ، وإذا نزلوا خدمت[83] .

وهناك روايات كثيرة بهذا المعنى وردت في كتب التاريخ والتراجم والطبقات، وكلها تؤكد أن أبا هريرة كان في أول أمره أجيرا عند آل عفان على ملء بطنه ، بعد أن كان الجوع يكاد يفتك به حتى يظن الناس أنه مجنون وما به من جنون إلا الجوع ، ولازمهم حتى إذ أصبح له شأن ومال وسلطان وإمامة، وأصبح يشبع كما يشبعون ، ويتمخط في الكتان ، و يركب كما يركبون ، ويخدم كما يخدمون ، زوجوه من ابنة غزوان أخت الأمير عتبة بن غزوان ، وأصبح يأمرها بما كانت تأمره ، (فقالت لي يوما لتردنه حافيا ولتركبنه قائما، فزوجنيها الله بعد فقلت لتردنه حافية ولتركبنه قائمة)[84] .

وهذا المضمون إضافة إلى مضمون الروايات الواردة في المبحث السابق ، والمتحدثة عن الجوع الشديد الذي كان يعاني منه أبو هريرة ، يثير أسئلة خطيرة حول ملازمة أبي هريرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ يطرح السؤال : هل كان أبو هريرة يلازم رسول الله صلى الله عليه وسلم في أول أمره أم كان أجيرا عند آل عفان على ملء بطنه ؟ وهل يمكن أن يجمع بين الخدمة في بيت عفان والاعتكاف في المسجد لسماع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ أكان المهاجرون والأنصار ينشغلون بأموالهم وأسواقهم وكان هو يترك إجارته حتى يسمع ما لم يكونوا يسمعون ؟ أم أن هذه الخدمة والإجارة كانت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم وبعد ملازمته له ، فلم لم تذكر هذه الروايات أنه لازم بن عفان وكان أجيرا لابنة غزوان بعد أن لازم رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ بل ذكرت الروايات أنه نشأ يتيما وهاجر مسكينا

---

[83] -حلية الأولياء لأبي نعيم ، ج1ص380. وانظر سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2 ص612.

[84] -طبقات ابن سعد، ج4 ص326.

وعمل أجيرا لابن عفان وابنة غزوان ، مما يفيد أنه منذ هجرته عمل لابن عفان وابنة غزوان على ملء بطنه ، ولا علاقة له بملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا بخدمته ولا بالاعتكاف في المسجد ، وسماع المخالف من الأحاديث التي لم يسمعها المهاجرون والأنصار ، ولا بالمعجزات الخاصة المبررة لهذه المخالفة وهذا الإكثار ، حتى إذا صار له مال وإمامة وسلطان بعد وفاة عثمان انتصب للفتوى والتحديث بما جمعه من الصحابة وأهل الكتاب وغيرهم، مدعيا أنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما احتج عليه الناس بالإكثار والمخالفة لما جاء به الصحابة مهاجرين وأنصارا ، اختلق تلك التبريرات التي نقوم بمدارستها، روى الذهبي في سيره قال: " كان ابن عباس وابن عمر وأبو سعيد وأبو هريرة وجابر مع أشباه لهم يفتون بالمدينة ويحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من لدن توفي عثمان إلى أن توفوا ، قال: وهؤلاء الخمسة إليهم صارت الفتوى".[85]

هل يعد أبو هريرة من الصحابة؟

درج الدارسون على اعتبار أبي هريرة صحابيا بناء على مجموعة من الروايات التي يرويها أبو هريرة عن نفسه ، وهي نفس الروايات التي تعرضنا لها في الفقرات السابقة ، وهي بدل أن تؤكد صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم أثارت حولها مجموعة من الشبهات ، وهو ما يدعونا إلى التحقيق في هذه المسألة.

روى الذهبي عن الوليد بن رباح :سمعت أبا هريرة يقول لمروان : والله ما أنت وال ، وإن الوالي لغيرك ، فدعه – يعني : حين أرادوا دفن الحسن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم – ولكنك تدخل فيما لا يعنيك ؛ إنما تريد بها إرضاء من هو غائب عنك –يعني معاوية .

---

[85] –سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2، ص607 .

فأقبل عليه مروان مغضبا ، وقال : يا أبا هريرة ، إن الناس قد قالوا : أكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وإنما قدم قبل وفاته بيسير !. فقال :قدمت -والله- ورسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ، وأنا يومئذ قد زدت على الثلاثين سنة سنوات ؛ وأقمت معه حتى توفي، أدور معه في بيوت نسائه ، وأخدمه ، وأغزو وأحج معه ، وأصلي خلفه؛ فكنت والله أعلم الناس بحديثه[86]".

وروى الذهبي عن عمير بن هانئ العنسي عن أبي هريرة قال : "اللهم لا تدركني سنة ستين" "فتوفي فيها أو قبلها بسنة ".

قال الواقدي : كان ينزل ذا الحليفة وله دار تصدق بها على مواليه، ومات سنة تسع وخمسين وله ثمان وسبعون سنة ، وهو صلى على عائشة في رمضان سنة ثمان وخمسين ، قال وهو صلى على أم سلمة في شوال سنة تسع وخمسين .

قلت :الصحيح خلاف هذا "[87].

وتبعا لهذه الروايات التي بني عليها أصحاب التاريخ والرجال تراجمهم ، يتبين أن أبا هريرة إنما أسلم بعد الثلاثين من عمره بسنوات (أي ما يتراوح بين ثلاث وتسع سنوات) ، فيكون إسلامه بين الثلاث و الثلاثين والتسع والثلاثين من عمره ، و كانت وفاته على عمر ثمان وسبعين سنة، وهو ما يفيد أن المدة بين إسلامه ووفاته تتراوح بين خمس وأربعين وتسع وثلاثين سنة ، بينما تبين الروايات الأخرى المتحدثة عن سنة وفاته أنها كانت بين سنة سبع وخمسين وسنة ستين ، فإذا نقصنا منها المدة بين إسلامه ووفاته والتي تتراوح بين خمس وأربعين سنة وتسع وثلاثين ، نتج لدينا أنه إنما أسلم - في أحسن الأحوال - بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بما يزيد على السنة ، ويصل إلى عشر سنوات:

---

[86] -سير أعلام النبلاء، الذهبي ، ج2 ص605.

[87] -سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2 ص626.

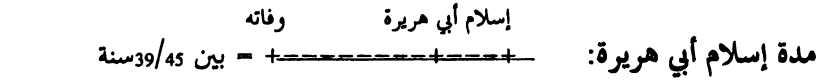

وهو ما يفيد أن أبا هريرة إنما أسلم في الفترة الممتدة بين السنة الثانية عشرة والسنة الحادية والعشرين للهجرة، فإذا علمنا أن الرواية المحددة لعمره عند وفاته بثمان وسبعين سنة ، قد حددت سنة وفاته كذلك بسنة تسع وخمسين للهجرة ، وهو ما يضيق دائرة الاحتمال بأربع سنوات ، مما يفيد أنه أسلم بين السنة الرابعة عشرة و السنة العشرين للهجرة .

مما يفيد أن أبا هريرة إنما قدم في خلافة عمر بن الخطاب ، فينتفي بذلك أن يصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ليوم واحد ، ومن ثم فلم يكن ملازما له صلى الله عليه على ملء بطنه ، وإنما كان أجيرا عند آل عفان وابنة غزوان على ملء بطنه حتى زوجه الله بها وجعله إماما وأميرا ، وتنتفي بذلك كل دعاوي الحفظ التي أكرم بها دون غيره من الصحابة مهاجرين وأنصارا ، وهو ما يفسر عدم الحديث عن

صحبته من طرف الصحابة مهاجرين وأنصارا، ويفسر عدم مشاركته في أحداث الوفاة التي شارك فيها غيره ورواها الملازمون للنبي صلى الله عليه وسلم ومنهم أمنا عائشة رضي الله عنها، والتي ما كان ليلهيها عن هذا الأمر مرآة ولا دهن ولا مكحلة! أما أبو هريرة فما الذي ألهاه عن هذا الحدث العظيم والخطب الجليل لو كان حاضرا وموجودا بله أن يكون خادما وملازما يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لم يحدث غيره؟!..

تدليس أبي هريرة:

روى الذهبي بسنده قال : "سمعت شعبة يقول : كان أبو هريرة يدلس،"

قال الذهبي :" قلت تدليس الصحابة كثير ولا عيب فيه ، فإن تدليسهم عن صاحب أكبر منهم والصحابة كلهم عدول "[88].

إن المشكلة التي نعالجها في هذه الفقرة ليست مشكلة الصحابي الذي يدلس ، فيخفي شيوخه وهم ثقاة وعدول ولا ضرر من عدم ذكرهم ، وإنما مشكلة شخص يدعي أنه من الصحابة ، ويخفي شيوخه من الصحابة أو من أهل الكتاب أو غيرهم ، ليحل محلهم فيصبح صحابيا ملازما للرسول صلى الله عليه وسلم ، وتصبح أحاديثه ملزمة بدعوى أنها أحاديث نبوية ، غير أن ما تقدم به من أدلة على ما ذهب إليه ، بدل أن تكون شاهدا له كانت شاهدا عليه، ومن ثم فتدليسه إن كان مدلسا ، وإن لم يكن فيه عيب ظاهر ، فإنه يترتب عليه ضرر كبير، ومن ذلك أن ينسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم ما نقله هذا الشخص من أخبار أهل الكتاب فتصبح هذه الأخبار أحاديث مرفوعة ، سواء

---

[88] -سير أعلام النبلاء ، الذهبي ، ج2 ص 608.

أرفعها هو أو رفعتها القواعد المعمول بها ، ومن ذلك "خبر الصحابي في ما لا مجال للاجتهاد فيه بمثابة المرفوع" و "جواز التحديث عن بني اسرائيل في أخبار الأمم السالفة " و" قول الصحابي حجة فيما لا يترتب عليه عمل " و "الصحابة كلهم عدول " و " تدليس الصحابة لا يضر".. والمعلوم أن أبا هريرة قد تتلمذ على عدد من الصحابة والتابعين وأهل الكتاب ومنهم عبد الله بن سلام وكعب الأحبار وغيرهما ، غير أنه في أغلب رواياته لا يصرح بشيوخه ، ويرفع أحاديثه مباشرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وحتى عندما أجاب على معضلة الإكثار والمخالفة لم يذكر أن ذلك له علاقة بما رواه عن هؤلاء الشيوخ غير النبي صلى الله عليه وسلم وإنما ادعى أن ذلك يرجع إلى الملازمة والحفظ فقط ، وهو يخالف ما تشهد به رواياته نفسها : أنه أخذ عن الصحابة والتابعين من مسلمين وأهل كتاب وربما دلسهم فلما كشف أمره اعترف بهذا التدليس ، ونأخذ على هذا الأمر بعض الأمثلة :

روى مسلم من حديث أبي بكر بن عبد الرحمن أنه : " سمع أبا هريرة يقص في قصصه من أدركه الفجر جنبا فلا يصم "[89].

وروى أحمد عن أبي هريرة أنه كان يقول:

-"من أصبح جنبا فلا صوم له "[90].

-"من أدركه الصبح وهو جنب فلا يصومن يومئذ"[91].

-"من أصبح جنبا فلا يصم "[92].

-" من أصبح جنبا من غير احتلام فلا يصوم "[93].

-" من أصبح جنبا فلا يصوم "[94].

---

89 - صحيح مسلم ،كتب الصيام ، حديث 1864 .

90 - مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 24334 . وحديث 25095

91 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث24627.

92 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 24493.

93 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 25445.

وروى مالك في" الموطأ "عن أبي هريرة قال :
"من أصبح جنبا أفطر ذلك اليوم"[95]
وروي بن ماجة عن أبي هريرة قال:
"لا ورب الكعبة ما أنا قلت "من أصبح وهو جنب فليفطر"محمد صلى الله عليه وسلم قاله"[96] .
وروى أحمد عن أبي هريرة قال:"ورب هذا البيت ما أنا نهيت عن صيام الجمعة ولكن محمدا نهى عنه، ورب هذا البيت ما أنا قلت من أدركه الصبح جنبا فليفطر ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله"[97]
وهذه الروايات جميعا تفيد أن أبا هريرة كان يفتي ببطلان صيام الجنب إذا لم يغتسل قبل طلوع الفجر، ويعتبر ذلك قولا من أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم و ليس من أقواله هو!! ..ولعل الروايتين الأخيرتين التي يقسم فيهما أبو هريرة برب الكعبة ورب هذا البيت، ليدلان على أن في الأمر نقاشا و اعتراضا يجيب عليهما بالقسم من جهة، وبنسبة الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه و سلم من جهة ثانية، ورغم ذلك فإن هذه الفتوى قد جلبت على أبي هريرة ردودا و اتهامات نطلع عليها في المباحث التالية .وذلك أن مروان بن الحكم والذي كان أميرا على المدينة آنذاك لما سمع بفتواه , أرسل إلى عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما يسألهما عن هذا الأمر , فكان جوابهما مخالفا لما رواه أبو هريرة:

---

[94] مسند أحمد بن حنبل، باقي مسند الأنصار، حديث 25447
[95] الموطأ، مالك بن أنس، كتاب الصيام حديث566
[96] سنن بن ماجة كتاب الصيام ، حديث 169
[97] مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند المكثرين.حديث 7503

-كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبح جنبا من غير احتلام ثم يصوم"[98].

-كان يدركه الفجر وهو جنب من أهل ثم يغتسل ويصوم[99].

-كان النبي صلى الله عليه وسلم يدركه الفجر في رمضان من غير حلم فيغتسل ويصوم"[100].

-وعن عائشة قالت : أشهد على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن كان ليصبح جنبا من جماع غير احتلام ثم يصومه ، ثم دخلنا على أم سلمة فقالت مثل ذلك[101].

والأحاديث في هذا المعنى -عند أصحاب الكتب التسعة -تتجاوز الستين حديثا ، تبين جميعها أن رواية أبي هريرة تخالف ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بشهادة زوجتيه رضي الله عنهما عائشة وأم سلمة . وهو ما دفع بمروان بن الحكم أمير المدينة إلى تقريع أبي هريرة بهذه الحقيقة ، فأرسل إليه بعض أصحابه لإخباره بذلك ، وقال له:

-أقسم بالله لتقرعن بها أبا هريرة[102].

-عزمت عليك إلا ما ذهبت إلى أبي هريرة فرددت عليه ما يقول[103].

-أخبر أبا هريرة بقول عائشة، فقلت إنه لي صديق فأحب أن تعفيني ، فقال عزمت عليك لما انطلقت إليه[104].

-أخبرا أبا هريرة بما قالتا[105].

---

[98] - صحيح مسلم ،كتاب الصيام ،حديث 1864. وحديث 1969.

[99] - صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث 1791.

[100] -صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث1795.

[101] -صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث1796.

[102] صحيح البخاري ، كتاب الصيام حديث1791.

[103] صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث 1864.

[104] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث23540.

[105] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث24334.

-عزمت عليكما لما انطلقتما إلى أبي هريرة فحدثتماه[106].
-الق أبا هريرة فحدثه ، فقال إنه لجاري وإني لأكره أن أستقبله بما يكره، فقال أعزم عليك لتلقينه[107].
-أقسمت عليك يا أبا محمد لتركبن دابتي فإنها بالباب فلتذهبن إلى أبي هريرة فإنه بأرضه بالعقيق فلتخبرنه بذلك[108].

وهناك روايات أخرى بهذا المعنى، نستغني عنها بما ذكرنا ، وجميعها تريد مناقشة أبي هريرة في ما يفتي به من أحاديث مخالفة لما جاء به الصحابة الآخرون ومنهم عائشة وأم سلمة.

ولقد جاء جواب أبو هريرة مضطربا في هذه الروايات ، بعد أن أجمعت على كونه قد رجع عن فتواه ،
-فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك[109].
-فكف أبو هريرة[110]
-فرد أبو هريرة فتواه[111]
-فترك أبو هريرة فتواه[112].

وأغلب هذه الروايات لم تبين سبب الغلط الذي وقع فيه أبو هريرة ، وإنما اكتفت بذكر أنه تراجع عن فتواه .

وذهبت بعض هذه الروايات إلى أن سبب تراجعه عن فتواه يرجع إلى كون أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أعلم منه بهذا الأمر:

---

106 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 24493.
107 مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث24627.
108 - الموطأ ، مالك بن أنس ، حديث 566.
109 -صحيح مسلم ، كتاب الصيام ، حديث 1864.
110 -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 25095.
111 -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث25393.
112 مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث25430.

-فانطلقت أنا وهو إلى أبي هريرة فأخبرته بقولها ، فقال :عائشة إذن أعلم برسول الله صلى الله عليه وسلم[113] .

-فانطلق إلى أبي هريرة فأخبره عن أم سلمة وعن عائشة ، فقال هما أعلم[114] .

-فأتيته فأخبرته ، فقال هن أعلم[115] .

وذكرت إحدى الروايات أنه اجتهاد خاطئ :

-فقال أبو هريرة: كذا كنت أحسب و كذا كنت أظن ، فقال له مروان بأظن وأحسب تفتي الناس[116] .

وذكرت رواية مالك أنه إنما أخبره به مخبر لم يعينه:

-فركب عبد الرحمن وركبت معه حتى أتينا أبا هريرة ، فتحدث معه عبد الرحمن ساعة ثم ذكر له ذلك ، فقال له أبو هريرة : لا علم لي بذاك إنما أخبرنيه مخبر[117] .

وذهبت روايات أخرى إلى تعيين هذا المخبر بالفضل بن عباس:

-إني ذاكر لك أمرا ولولا مروان أقسم علي فيه لم أذكره لك ، فذكر قول عائشة وأم سلمة ، فقال كذلك حدثني الفضل بن عباس وهن أعلم[118] .

-قال أبو هريرة : أهما قالتاه لك ، قال نعم ، قال : هما أعلم ، ثم رد أبو هريرة ما كان يقول إلى الفضل بن عباس ، فقال: سمعت ذلك من

---

[113] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث23540.

[114] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 25441 .

[115] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث25442.

[116] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث24334.

[117] -الموطأ ، مالك بن أنس، كتاب الصيام ، حديث 566.

[118] -صحيح البخاري ، كتاب الصيام ، حديث 1791.

الفضل و لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرجع أبو هريرة عما كان يقول في ذلك[119] .

-فانطلقا إلى أبي هريرة فأخبراه ، قال : هما قالتاه لكما ، قالا :نعم ، قال : هما أعلم إنما أنبأنيه الفضل بن عباس[120] .

-فلقيه ، فقال يا أبا هريرة والله إن كنت لأكره أن أستقبلك بما تكره ولكن الأمير عزم علي ، قال فحدثته ، فقال حدثنيه الفضل[121] .

-فأخبراه ، قال : قالتاه لكما ، فقالا نعم ، قال : هما أعلم إنما أنبأنيه الفضل بن عباس[122] .

وبمجموع هذه الأحاديث تفيد أن أبا هريرة كان يحدث بحديث لم يسمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما أقيمت عليه الحجة بمخالفته لما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كف عن التحديث به مدعيا أنما أخبره مخبر ، وهو الفضل بن عباس ، وهنا تثار مجموعة من الأسئلة ، منها :

-لماذا أخفى أبو هريرة شيخه الفضل بن عباس ، والذي توفي حسب الروايات في السنة الخامسة عشرة للهجرة ، منذ خمس وعشرين سنة خلت ، إلى إمارة مروان ، وحتى قرعه مروان بخبر عائشة وأم سلمة ؟

-هل كان يريد أن يقول للناس إني سمعت من رسول الله صلى الله عليه ما لم يسمعه منه حتى يظنوه صحابيا فينال حظوة الصحابي ، لكنه لما كشف خطأ حديثه رده إلى الفضل بعد خمس وعشرين سنة من وفاته؟!

-وهل هذه الفتوى التي تراجع عنها أبو هريرة ،كان الفضل بن عباس هو الذي أفتى بها فعلا ؟

---

[119] -صحيح مسلم ،كتاب الصيام ، حديث 1864 .

[120] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث24493.

[121] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 24627.

[122] -مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث 25445 ، وحديث 25447.

- وما الذي جعل الفضل يخطئ في فتواه ، أسمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم أم أنه قد افترى عليه الكذب ؟!

إن أبا هريرة لم يرو عن الفضل بن عباس شيئا إلا ما جاء في هذا الحديث ، فهل كان الفضل من شيوخه ؟ وأين أحاديثه الأخرى التي رواها عنه ؟ هل دلس فيها كما دلس في هذا الحديث ؟ كما أن الفضل لم يحدث عنه أحد بمثل هذا الحديث أو قريب منه ، وكل حديثه في الكتب التسعة على الأقل لا يتجاوز ما ذكره من وصف لرحلة الحج وهو رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أسامة بن زيد ، ولم يذكر عنه أنه حدث حديثا يتعلق بالصيام إلا ما نسبه إليه أبو هريرة بعد وفاته بخمس وعشرين سنة ، مدعيا أنه هو الذي أخطأ في نقله لا أبو هريرة !

إن أسهل طريقة للتخلص من الأخطاء هي نسبتها إلى الآخرين ، وخصوصا الموتى منهم ! وهو ما قام به أبو هريرة ، وإن الذي جعله ينسب إليه ما نسبه هو تدخل الأمير الذي أقسم على أبي بكر وأبيه عبد الرحمن بالذهاب إليه وتقريعه بما حدثت به عائشة و أم سلمة -رضي الله عنهما - ، وإن أبا بكر وأباه عندما سمعا بحديث أبي هريرة في مسألة صيام الجنب علما أنها أمر خاطئ من أبي هريرة ، ولذلك توجها إلى الأمير ليخبراه بما يفتي به أبو هريرة منسوبا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما كان من الأمير الذي علم هو الآخر بالخطأ، إلا أن بعث إلى عائشة وأم سلمة يسألهما في الموضوع ، وكان جوابهما مصدقا لما ذهب إليه كل من أبي بكر وأبيه عبد الرحمن و مروان بن الحكم ، وهو ما يعني أن أبا هريرة لم يحدث بهذا الحديث إلا من فترة وجيزة لا تصل بحال إلى العهد الذي توفي فيه الفضل بن عباس ، إذ لو كان الأمر كذلك لانتبه عموم الناس له منذ زمن بعيد وقبل إمارة مروان، وكيف بأبي هريرة لا يذكر هذا الحديث إلا في إمارة مروان وهو قد سمعه من الفضل بن عباس منذ ما يزيد على خمس وعشرين سنة،

وليس أبو هريرة من الذين يستطيعون كتمان الأخبار طول هذه المدة ، وهو ما يلقي على نسبة هذا الخبر إلى الفضل بن عباس شكوكا كثيرة !! فهل يكون الجواب الأقرب إلى الصواب هو ما ذكرته الرواية المتحدثة عن اجتهاد أبي هريرة حيث قال :" كذا كنت أحسب و كذا كنت أظن ، فقال له مروان بأظن وأحسب تفتي الناس"[123].

وكيفما كان الحال فإن هذه الفتوى ليست حديثا نبويا ولكن أبا هريرة حدث بها ،واكتشف الناس خطأه فيها، وتراجع عنها ، سواء أكان أخذها عن غيره فأخفى شيخه ، أو كانت اجتهادا منه . ومثل هذه الفتوى تطرح أسئلة جذرية على حديث أبي هريرة المرفوع ، ما هي مصادره ؟ هل هو اجتهادات ؟ أم نقول أهمل رواتها ؟ أم أخبار أهل كتاب ؟ وخصوصا إذا تأكد لنا أن أبا هريرة كان يأخذ عن الجميع ويصيغ ذلك كله في رواية قصصية مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم ينفرد برواية أكثر مفرداتها ، و تخالف في كثير من الأحيان ما يروى عن الصحابة الآخرين من مهاجرين وأنصار ، وهو ما دعا الناس إلى اتهامه بالإكثار والمخالفة.

إن أبا هريرة في هذه الروايات قد أقر بكون عائشة وأم سلمة أعلم منه ، عندما قال : "هما أعلم " ، وهو ما كان ينفيه عندما قال لعائشة رضي الله عنها : "ما كانت تشغلني المرآة والمكحلة ولا الدهن ". فما الذي شغله عن هذا الحديث ؟ حتى علمته عائشة وأم سلمة ، وأخذه هو بطريقة خاطئة عن الفضل بن عباس ، وانفرد بروايته عنه ، كما انفرد بروايته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ذلك وقبل

123-مسند أحمد بن حنبل ،باقي مسند الأنصار ،حديث24334.

اكتشاف خطئه ؟ وهل كان الفضل الذي لم تروى عنه إلا أحـــاديث ذوات عدد، أكثر علما من أبي هريرة حتى يرجع إليه مصدريـــة هـــذا الحديث الخاطئ؟! كل هذا لا يعني إلا المحاولة اليائسة من أبي هريرة لدفع تهمة الإكثار والتزيد عنه ، والتي واجهه بها معاصروه ، ومنـــها هـــذه الأحاديث ؟!!.

إن تدليس الرواة هي الإمكانية الوحيدة التي يمكن أن تفسر سبب إكثار أبي هريرة من الرواية ، وليس التدليس عيبا في عصر لم يكن الرواة يسألون عن شيوخهم ، ولا كانت هناك أسانيد ، وخصوصـــا عنـــد الوعاظ والقصاص ، الذين إنما تروج قصصهم وأحاديثهم بما فيها مـــن مبالغات وغرائب وأعاجيب ، و لم يكن أبو هريرة عالما ولا فقيـــها ولا حتى كاتبا يمكن الاعتماد على علمه وفقهه في تمحيص النصوص ونقدها ومدارستها ، وإنما كان راوية قصاصا كتبت له الإمامة بحســـن وعظـــه وكثرة تحديثه وجرأته ،حتى أصبح واحدا من أصحاب رسول الله صلـــى الله عليه وسلم يحضر ما لا يحضرون ويحفظ ما لا يحفظون ؛ وكتبت لـــه الشهرة بولائه لبني أمية و آل مروان، وخدمته لهم ودفاعه عن حكمـــهم وملكهم وجماعتهم وقبيلتهم ،حتى أصبح صهرا لهم ، وأميرا من أمرائهم، وإماما من أئمتهم !!.

إن هذه المدارسة السريعة لهذا الخبر الذي نسبه أبو هريرة للفضـــل بن عباس قد ألقت لنا بعض الأضواء الكاشفة عن تدليس أبي هريـــرة ، وسنحاول في الفقرة اللاحقة أن نلقي مزيدا من الضوء على هذه المســـألة ولكن هذه المرة مع أهل الكتاب!!

الخروج إلى الطور :

روى مالك من حديث أبي هريرة قال :

-خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار ، فجلست معه فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[124] .

وروى النسائي عن أبي هريرة قال :

-أتيت الطور فوجدت ثم كعبا فمكثت أنا وهو يوما أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم و يحدثني عن التوراة[125] .

وروى أحمد من حديث أبي هريرة قال :

-خرجت إلى الطور فلقيت كعب الأحبار ، فجلست معه ، فحدثني عن التوراة وحدثته عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[126] .

-قدمت الشام فلقيت كعبا فكان يحدثني عن التوراة وأحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتينا على ذكر يوم الجمعة[127] .

وروى الدارمي عن أبي هريرة قال:

-التقيت أنا وكعب ، فجعلت أحدث عن رسول الله ويحدثني عن التوراة[128] .

تتحدث هذه الروايات جميعا عن لقاء أبي هريرة بكعب الأحبار بالشام ، وأن أبا هريرة هو الذي بادر بالخروج إليه ولقائه هنالك ، والملاحظ أن راوي هذا اللقاء هو أبو هريرة نفسه ، بعد مدة من زمن إجراء اللقاء ، و أنه قد حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما حدثه كعب عن التوراة ، في مواضيع كثيرة حتى أتيا على ذكر الجمعة. ولست أدري لماذا تحمل أبو هريرة وعثاء السفر من أجل هذه المقابلة العجيبة ، وكان الأولى أن يأتيه كعب لا أن يذهب هو إليه إلى الطور ، لكون أبي هريرة -حسب قوله - صاحب رسول الله صلى الله عليه

---

[124] -الموطأ ، مالك بن أنس ، كتاب النداء للصلاة ، حديث 222 .

[125] -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ،حديث 1413 .

[126] -مسند أحمد ،باقي مسند المكثرين ، حديث 9912.

[127] -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675 .

[128] -سنن الدارمي ، كتاب الصلاة ، حديث 1523.

وسلم وحامل حديثه ؟! فهل كان أبو هريرة طالب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم طالب علم التوراة من كعب الأحبار؟ وهل كان عالما يأخذ مباشرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أم كان طالب رواية يأخذها من كل واحد حتى من كعب الأحبار ، ويرحل إليه ولو في الطور ؟

إن كعب الأحبار – حسب هذه الروايات – كان يحدث أبا هريرة من التوراة، وكان أبو هريرة يحدثه عن الرسول صلى الله عليه وسلم في مواضيع كثيرة ، حتى أتيا على ذكر الجمعة ، والسؤال المطروح هو:

ما الذي كان يعمله أبو هريرة بالعلم التوراتي الذي أخذه عن كعب الأحبار، والذي من أجله خرج إلى الطور وقدم إلى الشام، و إلى أي مكان ذهب في الطور ليجد كعبا، هل في جبل الطور، في معبد هناك أو خلوة، أو مسجد في البراري ؟..

إن خروج أبي هريرة إلى الطور يثير مجموعة من الإشكالات ، وإن روايته لهذا الخروج دون غيره تثير إشكالات أخرى ، فهو بذلك يفتخر به ، وكأنه موسى خرج للقاء العبد الصالح في مجمع البحرين ليعلمه مما علم رشدا .. وأنه قد أدرك بغيته ، وجلس مع الحبر العالم ، وعرض عليه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وصدقه كعب الأحبار بالتوراة ؟؟!.. ثم رجع بعلم خاص مصدق بالتوراة ؟!..

بين التوراة والحديث النبوي:

روى مالك عن أبي هريرة قال:

-فكان فيما حدثته أن قلت قال رسول اله صلى الله عليه وسلم : خير يوم طلعت فيه الشمس (...) قال كعب : ذلك في كل سنة مرة ،

فقلت بل هو في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم [129] .

وروى النسائي عن أبي هريرة قال:

-فمكثت أنا وهو يوما أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثني عن التوراة ، فقلت له : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير يوم طلعت فيه الشمس (...) فقال كعب : ذلك يوم في كل سنة ، فقلت بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة ، ثم قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة [130] .

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-فكان فيما حدثته أن قلت إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خير يوم طلعت فيه الشمس (...) قال كعب : ذلك في كل سنة مرة ، فقلت بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم [131] .

-فحدثته أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجمعة ساعة (...) فقال كعب :صدق الله ورسوله هي في كل سنة مرة ، قلت :لا ، فنظر كعب ساعة ثم قال : صدق الله ورسوله هي في كل شهر مرة ، قلت : لا، فنظر ساعة فقال : صدق الله ورسوله هي في كل جمعة مرة ، قلت : نعم ، فقال كعب : أتدري أي يوم هو ، قلت وأي يوم هو ، قال : فيه خلق الله آدم وفيه (...) [132] .

وروى أبو داود عن أبي هريرة قال :

---

[129] -الموطأ ، مالك بن أنس ، كتاب النداء للصلاة حديث 222.

[130] -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413.

[131] - مسند أحمد بن حنبل ، باقي مسند المكثرين ، حديث 9912.

[132] -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675 .

-قال كعب :ذلك في كل سنة يوم ، فقلت : بل في كل جمعة ، قال: فقرأ كعب التوراة فقال : صدق النبي صلى الله عليه وسلم[133] .

وتبعا لهذه الروايات فإن ما حدث به أبو هريرة من حديث نبوي، كان كعب يعرضه على التوراة و يمحصه ويصدقه بها، وهو ما يجعل كعبا وتوراته مصدقا لأبي هريرة وحديثه ...والملاحظ أن كعبا و إن كان يقول صدق الله و رسوله، فإنه كان يحاول تغليط أبي هريرة، فكان يجعل ذلك اليوم في كل سنة مرة ، ثم ينظر إلى التوراة فيجعله في كل شهر مرة, ثم ينظر إلى التوراة فيجعله في كل أسبوع مرة ، ولولا "نباهة" أبي هريرة الذي كان يرفض توجيهات كعب لاستطاع هذا الأخير أن يضلله، فهو و إن كان يقرأ التوراة فهو يكذب، كما سيشهد بذلك عبد الله بن سلام في الفقرة الموالية.

إن رحلة أبي هريرة إلى الطور ، كانت من أجل عرض أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم على كعب الأحبار ليصدقها بالتوراة ، ولقد نجح أبو هريرة في مهمته -رغم خداع كعب- وصدق ما يحمله من أحاديث بما في توراة كعب ، ثم قفل راجعا من حيث أتى ؟!..

إن رحلة أبي هريرة وكعبه وطوره وما تحمله من رمزية إسرائيلية، لتجعل من معابد اليهود قبلة لنا تشد إليها الرحال ، ومن أحبارهم علماء لنا تعرض عليهم الأخبار ، ومن كتابهم ميزانا لما عندنا يقوم بدور التصديق والهيمنة ..

ولقد كان يدرك أبو هريرة ما تثيره قصة الرحلة إلى الطور من إشكالات ، فضمنها ما يصلح أن يكون ردا على كل اعتراض ، ومن ذلك لقاؤه "بصرة بن أبي بصرة" .

---

[133] -سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882.

بصرة بن أبي بصرة :

روى مالك عن أبي هريرة قال :

-فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري ، فقال : من أين أقبلت ، فقلت من الطور ، فقال : لو أدركتك قبل أن تخرج إليه ما خرجت ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ، إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيلياء أو بيت المقدس يشك[134] .

وجاء في سنن النسائي عن أبي هريرة قال :

-فخرجت فلقيت بصرة بن أبي بصرة الغفاري فقال :من أين جئت ، قلت من الطور ، قال : لو لقيتك من قبل أن تأتيه لم تأته ، قلت له : و لم ؟ قال : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تعمل المطي إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي ومسجد بيت المقدس[135] .

إن هذا اللقاء الذي تم بين أبي هريرة وبصرة بن أبي بصرة إنما رواه أبو هريرة نفسه ، و لم يرو عنه أبو هريرة إلا هذا الحديث ، و لم يرو عنه أحد من الصحابة الآخرين أو التابعين ولو حديثا ، ولا يعرفه أحد إلا أبو هريرة ؟! .. بل إن المترجمين للرجال لم يزيدوا في ترجمته على ما ذكر في هذا الحديث من معلومات عنه؟!.

والملاحظ -تبعا للرواية – أن بصرة بن أبي بصرة الذي لا يعرفه أحد كان عالما بالحديث أكثر من أبي هريرة ، وسمع من النبي صلى الله عليه وسلم حديث " لا تعمل المطي" ، ومنه أخذه أبو هريرة الذي لم يكن يعلمه قبل خروجه إلى الطور ، ولو كان يعلمه ما خرج ، ولو كان بصرة بن أبي بصرة يعلم أنه سيخرج لما تركه يخرج بسلطة هذا

---

[134] -الموطأ، مالك بن أنس ، كتاب النداء بالصلاة ، حديث 222.

[135] - سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413.

الحديث.. وهو ما يبين أن خروجه إلى الطور لم يكن خروجا عاديا ، وإنما كان خروجا مساويا لما تعمل له المطي وهو المساجد الثلاثة .

ولعل هذه الرواية تريد التأكيد على قدسية المكان/الطور كما تحفل به الذاكرة الكتابية ، والذي هو مزار أو محج تعمل له المطي ، قبل العلم بهذه الرواية على الأقل ، ويقصده الناس لأخذ العلم التوراتي -طبعا- ، وما وجود كعب الأحبار به إلا لتحقيق هذا المراد .. وما قام به أبو هريرة من عرض للحديث على ما عند كعب من التوراة يندرج في هذا الإطار ..

إن هذه الرواية تريد التأكيد على قدسية المكان /الطور ، وعلمية العالم /كعب الأحبار ، ومرجعية التوراة وهيمنتها على حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وفي نفس الوقت فإنها ترد على المعترضين الذين سيقولون : كيف يخرج أبو هريرة إلى الطور ويأخذ عن كعب الأحبار ويصدق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوراة ؟؟! فيكون الجواب :إن أبا هريرة إنما خرج قبل علمه بحديث النهي عن الخروج ، والذي إنما أعلمه به بصرة بعد رجوعه من الطور، ولو علمه قبل لم يخرج !

إن بصرة بن أبي بصرة الذي ذكرته رواية كل من مالك والنسائي سيتحول عند الإمام أحمد إلى أبي بصرة بدل بصرة بن أبي بصرة.

والملاحظ أن الإمام أحمد يروي هذا الحديث بنفس السند الذي رواه به النسائي من طريق مالك وهي الرواية الأخرى ، والملاحظ أن هذا الاسم يتكون من كلمة واحدة وهي بصرة ، وأبوه - طبعا - هو أبو بصرة ، فهو بذلك بصرة بن أبي بصرة ، والإمام أحمد في روايتيه ذكر أن اسمه هو أبو بصرة. وهو ما جعل المترجمين يحتارون في ترجمته فيخلطونه بغيره مما لا علاقة له به ..

إن بصرة بن أبي بصرة الذي أعلم أبا هريرة بحديث المطي ، يصبح مبهما في إحدى روايتي مسلم لهذا الحديث ، يقول مسلم: "عن أبي

هريرة **يبلغ به النبي** صلى الله عليه وسلم :" لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد "[136]، فالإمام مسلم لم يذكر لنا بصرة هذا ، وإنما قال:" **يبلغ به النبي**"صلى الله عليه وسلم ، و لم يذكر لنا واسطة هذا البلوغ ، والذي هـــو بصرة حسب روايتي مالك والنسائي ، وأبو بصرة حسب روايتي أجمد عن مالك ، فيظن القارئ الذي لم يطلع على هذه الروايات أن أبا هريرة إنما روي هذا الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم مباشرة.

إن الإمام مسلم قال في الرواية الأخرى بسنده: أنه سمع أبا هريـرة يخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إنمـــا يســـافر إلى ثلاثـــة مساجد مسجد الكعبة ومسجدي ومسجد أيلياء[137] .

وهكذا يغيب بصرة بن أبي بصرة أو أبو بصرة أو صيغـــة إبهـــام الواسطة (يبلغ به) ، ويتحول الأمر إلى عنعنة و(أنأنة) مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم بواسطة أبي هريرة عند مسلم في هذه الرواية الثانية، وعند البخـــاري[138] ،وعنـــد النســـائي[139] في روايـــة أخـــرى ، وأبي داود[140] والدارمي[141] وأحمد[142] في روايات أخرى كذلك..

وهكذا يتحول أبو هريرة الذي لم يكن عالما بالحديث قبل لقائـــه بهذه الشخصية المجهولة ،إلى ناقل للحديث عن رسول الله مباشرة ومـــن غير واسطة ، ويغيب السياق الذي ورد فيه الحديـــث ، وهـــو ســـياق الخروج إلى الطور لملاقاة كعب الأحبار من طرف أبي هريـــرة ، كمـــا

---

136 - صحيح مسلم ، كتاب الحج ، حديث 2475.

137 - صحيح مسلم ، كتاب الحج ، حديث 2476.

138 - صحيح البخاري ، كتاب الجمعة، حديث 1115.

139 - سنن النسائي، كتاب المساجد ، حديث 693.

140 - سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، حديث 1738.

141 - سنن الدارمي ، كتاب الصلاة ،حديث 1385 .

142 - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، أحاديث 6893 ،6951، 7410، 10103.

غاب هذا الناصح الذي لا يعرفه إلا أبو هريرة والذي استشهد عليه بهذا الحديث .

كذب كعب الأحبار :

روى مالك عن أبي هريرة قال:

-قال كعب : ذلك في كل سنة مرة ، فقلت : بل في كل جمعة، فقرأ كعب التوراة ، فقال: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (...) ثم لقيت عبد الله بن سالم فحدثته بمجلسي مع كعب الأحبار وما حدثته به في يوم الجمعة ، فقلت قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ، قال عبد الله بن سلام : كذب كعب ، فقلت ثم قرأ كعب التوراة، فقال: بل هي في كل جمعة ، فقال عبد الله بن سلام : صدق كعب [143] .

وفي حديث النسائي عن أبي هريرة قال :

-فقال كعب : ذلك يوم في كل سنة ، فقلت بل هي في كل جمعة ، فقرأ كعب التوراة ثم قال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة (...) فلقيت عبد الله بن سلام فقلت: لو رأيتني خرجت إلى الطور (...) قال كعب : ذلك يوم في كل سنة ، فقال عبد الله بن سلام : كذب كعب ، قلت: ثم قرأ كعب فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو في كل جمعة ، فقال عبد الله صدق كعب [144] .

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-قال كعب ذلك في كل سنة مرة ، فقلت بل هي في كل جمعة، فقرأ كعب التوراة فقال : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (...) ثم لقيت عبد الله بن سلام فحدثته بمجلسي مع كعب وما حدثته عن يوم

---

[143] - الموطأ، مالك بن أنس ، كتاب النداء للصلاة ، حديث 1413.

[144] -سنن النسائي ، كتاب الجمعة، حديث 1413 .

الجمعة ، فقلت له : قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ، قال عبد الله بن سلام : كذب كعب ، ثم قرأ كعب التوراة فقال : بل هي في كل جمعة ، قال عبد الله بن سلام : صدق كعب [145] .

-فقال كعب صدق الله ورسوله هي في كل سنة مرة قلت : لا ، فنظر كعب ساعة ثم قال : صدق الله ورسوله هي في كل شهر مرة ، قلت : لا ، فنظر ساعة فقال : صدق الله ورسوله في كل جمعة مرة ، قلت : نعم (...) فأخبرت عبد الله بن سلام بقول كعب ، فقال : كذب كعب ، قلت : إنه قد رجع إلى قولي [146] .

وروى أبو داود عن أبي هريرة قال :

-قال كعب : ذلك في كل سنة يوم ، فقلت بل في كل جمعة ، قال فقرأ كعب التوراة فقال : صدق النبي صلى الله عليه وسلم [147] .

ومجموع هذه الروايات تفيد أن كعبا كان يتحايل على أبي هريرة في مسألة الجمعة لئلا يكون فضلها مرة في كل أسبوع ، فيذكر له أنها تكون مرة في السنة ، ويعترض أبو هريرة على هذا التوجيه ، ويذكر له أنها تكون مرة في الشهر ، ويعترض أبو هريرة مرة أخرى ، حتى يصدق كعب الحديث النبوي فيقول صدق الله ورسوله هي في كل أسبوع مرة.. وعندما يعرض أبو هريرة الأمر على عبد الله بن سلام فإنه يخبره أن كعبا كان يكذب عليه في أول الأمر ، و لم يصدق إلا في آخره ..

والسؤال هو: لماذا يخرج أبو هريرة إلى الطور من أجل حبر يشهد هو نفسه أنه كذب عليه كما يشهد بذلك عبد الله بن سلام ؟ وهل كذب عليه في تحديد يوم الجمعة من الأسبوع ، أم أن ما حدثه به من التوراة هو الذي يجب أن تهتم به الرواية، وتكشف عن كذبه فيه لأنه يتعلق بمعرفة يبنى عليها الاعتقاد و التصور والسلوك.

---

[145] - مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 9912.

[146] -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675.

[147] -سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882.

وهو ما يدفعنا إلى التساؤل عما أخبر كعب به أبا هريرة من الحديث ، لنعرف وجه الصدق والكذب فيما يتحدثان به ..

أحاديث أم إسرائيليات :

روى مالك عن أبي هريرة قال:

"فكان فيما حدثته به أن قلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم وفيه هبط من الجنة وفيه ثيب عليه وفيه مات وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم و هو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه"[148] .

روى النسائي عن أبي هريرة قال:

-فقلت له: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : خير طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه قبض وفيه تقوم الساعة ، ما على الأرض من دابة إلا وهي تصبح مصيخة حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا ابن آدم ، وفيه ساعة لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة يسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه[149] .

ورواه أبو داود[150] بنفس المعنى مع اختلاف طفيف في اللفظ .

وروى الترمذي عن أبي هريرة قال :

-خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة ، فيه خلق آدم وفيه دخل الجنة، وفيه اهبط منها وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلى فيسأل الله فيها شيئا إلا أعطاه إياه[151] .

---

[148] -الموطأ، كتاب النداء للصلاة، حديث222.

[149] -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413.

[150] -سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882.

[151] -سنن الترمذي ، كتاب الجمعة ، حديث 453.

وروى الدارمي عن أبي هريرة قال :

-حتى أتينا على ذكر يوم الجمعة ، فقلت: إن رسول الله صلى عليه وسلم قال : إن فيها لساعة لا يوافقها عبد مسلم يصلي يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه [152].

وروى أحمد في أحاديث متنوعة مثل هذا ومنه:

-فكان فيما حدثته أن قلت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه مات ، وفيه تقوم الساعة وما من دابة إلا وهي مسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيها ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه [153].

-عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم وهو في صلاة يسأل الله خيرا إلا أتاه إياه قال ، وقللها أبو هريرة بيده [154].

-"حتى أتينا على ذكر الجمعة فحدثنيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله خيرا إلا أعطاه إياه (...)فقال كعب أتدري أي يوم هو، قلت: وأي يوم هو؟ قال: فيه خلق الله آدم وفيه تقوم الساعة والخلائق فيه مصيخة إلا الثقلين الجن والإنس خشية القيامة "[155].

والملاحظ أن أكثر هذه الروايات لم يذكر إلا ما قاله أبو هريرة لكعب و لم يذكر لنا ما قاله كعب لأبي هريرة من التوراة في شأن الجمعة. وكل هذه الروايات ورد فيها ذكر الساعة التي في الجمعة ، والتي

---

152 -سنن الدارمي كتاب الصلاة، حديث 1523.

153 -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 9912 .

154 -مسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 11198.

155 -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675.

لا يصادفها عبد يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه. وبعضها وصف هذا اليوم وما كان فيه وما يكون منسوبا إلى حديث أبي هريرة . وواحدا منها فقط فصل في المسألة ، وهو حديث أحمد ، فبين أن جزءا من الخبر مرفوع للرسول صلى الله عليه وسلم وهو قوله : "إن في الجمعة ساعة لا يوافقها مسلم يسأل الله فيها خيرا إلا أعطاه إياه" ، وهو ما أجمعت عليه الروايات ، وجزء هو لكعب الأحبار يقرأه من التوراة ، وهو جواب على سؤال طرحه كعب على أبي هريرة حيث قال :

-أتدري أي يوم هو ؟ ، قلت : وأي يوم هو ؟ ، قال : فيه خلق الله آدم، وفيه تقوم الساعة والخلائق فيه مصيخة إلا الثقلين الجن والإنس خشية القيامة[156]

وبذلك يكون هذا الحديث أكثر ملائمة لقول الروايات : فكنت أحدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحدثني عن التوراة ، وإلا فأين حديث التوراة الذي حدث به كعب ؟!

إن جزءا من حديث كعب دخل في حديث أبي هريرة ، فأصبح الجميع حديثا مرفوعا للنبي صلى الله عليه وسلم في بعض الروايات ، وإن كانت روايات أخرى قد اكتفت بذكر الجزء المرفوع فقط.. وإن حذف الجزء المتعلق بلقاء أبي هريرة بكعب الأحبار قد ساهم في هذا الغلط الكبير الذي جعل كلام كعب كلاما لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

مع عبد الله بن سلام:

ففي رواية مالك عن أبي هريرة قال :

-ثم قال عبد الله بن سلام قد علمت أية ساعة هي ، قال أبو هريرة فقلت : أخبرني بها ولا تضن علي ، فقال عبد الله بن سلام : هي آخر

---

[156] -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22675.

ساعة من يوم الجمعة ، قال أبو هريرة فقلت : وكيف تكون آخر ساعة في يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي ، وتلك ساعة لا يصلى فيها ، فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي ، قال أبو هريرة فقلت : بلى ، قال : فهو ذاك [157].

وروى النسائي من حديث أبي هريرة أنه قال :

-فقال عبد الله : صدق كعب ، إني لأعلم تلك الساعة ، فقلت: يا أخي حدثني بها قال : هي آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغيب الشمس ، فقلت أليس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يصادفها مؤمن وهو في الصلاة ، وليست تلك الساعة صلاة ، قال : أليس قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من صلى وجلس ينتظر الصلاة لم يزل في صلاته حتى تأتيه الصلاة التي تلاقيها ، قلت : بلى ، قال : فهو كذلك [158].

وروى أبو داود من حديث أبي هريرة قال:

-فقال عبد الله بن سلام : قد علمت أية ساعة هي ، قال أبو هريرة فقلت له : فأخبرني فقال عبد الله بن سلام : هي آخر ساعة من يوم الجمعة ، فقلت : كيف هي آخر ساعة من يوم الجمعة وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي وتلك الساعة لا يصلى فيها ، فقال عبد الله بن سلام : ألم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة حتى يصلي ، قال قلت: بلى ، قال: هو ذاك [159].

وروى الترمذي من حديث أبي هريرة قال :

---

[157] - الموطأ ، مالك بن أنس ، كتاب النداء للصلاة ، حديث 222.

[158] -سنن النسائي ، كتاب الجمعة ، حديث 1413،

[159] -سنن أبي داود ، كتاب الصلاة ، حديث 882.

-فلقيت عبد الله بن سلام فذكرت له هذا الحديث فقال : أنا أعلم بتلك الساعة فقلت : أخبرني بها و لا تضنن بها علي، قال : هي بعد العصر إلى غروب الشمس ، فقلت : كيف تكون بعد العصر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي ، وتلك الساعة لا يصلى فيها ، فقال عبد الله بن سلام: أليس قد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من جلس مجلسا ينتظر الصلاة فهو في صلاة ، قلت : بلى ، قال : فهو ذاك[160].

وروى أحمد عن أبي هريرة قال :

-قلت : إنه قد رجع إلى قولي ، فقال : أتدري أي ساعة هي ، قلت : لا، وتمالكت أخبرني أخبرني فقال :هي فيما بين العصر والمغرب ، قلت: كيف ولا صلاة ، قال : أما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة[161]

تتحدث هذه الروايات عن لقاء أبي هريرة بعبد الله بن سلام بعد رجوعه من لقاء كعب الأحبار الذي تحدث وإياه عن يوم الجمعة من التوراة ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأثار عبد الله بن سلام ساعة الاستجابة في هذا اليوم والتي يعلم وقتها ، مما جعل أبا هريرة يلح عليه في السؤال حتى يعلمه بها ، و أجابه عبد الله بن سلام بأنها في آخر ساعة من يوم الجمعة قبل أن تغرب الشمس ، واعترض أبو هريرة بكون تلك الساعة ليست ساعة صلاة ، والحديث المثار للمناقشة يحدد وقتها بوقت الصلاة ، ويرد عليه بن سلام بحديث نبوي يبين أن الجلوس للصلاة وانتظارها صلاة ، فيوافقه أبو هريرة على توجيهه ،إن رواية أبي هريرة تتمحور حول حديث: إن في الجمعة ساعة لا يصادفها مسلم يصلي فيدعو الله خيرا إلا أعطاه إياه ، وقد عرض أبو هريرة هذا الحديث

---

160 -سنن الترمذي ، كتاب الجمعة ، حديث 453.

161 -مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار، حديث 22675.

على كعب الأحبار فبين له هذا اليوم وماذا فيه من فضائل – انطلاقا من التوراة– وعرض هذا الحديث على عبد الله بن سلام فبين له ساعة الاستجابة في هذا اليوم – انطلاقا من التوراة كذلك – ، وناقش أبو هريرة كعبا في اليوم ، وناقش عبد الله بن سلام في الساعة . وكما استطاع عبد الله بن سلام إقناع أبي هريرة بكون الساعة التي في الجمعة إنما هي بعد العصر مستشهدا عليها بحديث انتظار الصلاة ، فقد استطاع كعب إقناع أبي هريرة بأن يوم الجمعة خلق فيه آدم وأهبط من الجنة وفيه تقوم الساعة ، وكما سأل عبد الله بن سلام أبا هريرة : أتدري أي ساعة هي ؟ فقال : أخبرني بها ولا تضن بها علي فأجابه ، فكذلك سأله كعب الأحبار قبله : أتدري أي يوم ؟ فقال : وأي يوم هو ؟ فوصفه له كعب انطلاقا مما عنده من التوراة. والسؤال هو : لماذا يصر أبو هريرة على مقابلة الإسرائيليين وسؤالهم عن قضايا الدين ومنها يوم الجمعة ، كعب في الطور وعبد الله بن سلام في المدينة ، وبصرة بن أبي بصرة في غير مكان ؟

إن كعب الأحبار – حسب الرواية – قد قام بمناورة كشفها كل من أبي هريرة وعبد الله بن سلام ، فقال أبو هريرة : لا، وقال بن سلام: كذب كعب ، ولكن هل المناورة في تحديد يوم الجمعة من السنة والشهر والأسبوع أم في وصف هذا اليوم وما طرأ ويطرأ فيه ؟!

وإن عبد الله بن سلام –حسب الرواية– قد أثار وصفه لوقت الساعة إشكالا لدى أبي هريرة قبل أن يستشهد عليه بحديث انتظار الصلاة ، أو لم تكن هذه المناقشة مناورة إسرائيلية ثانية لتحديد وقت ساعة الاستجابة وفق المفهوم الإسرائيلي؟ وماذا عن بصرة بن أبي بصرة، أو ليست هذه كذلك مناورة إسرائيلية ثالثة لتبرير خروج أبي هريرة إلى الطور ولقائه كعب الأحبار من جهة ، ومن جهة ثانية لجعل مسجد إيلياء أو بيت المقدس من المساجد التي يقصدها الحجاج وتشد إليها الرحال ؟!

إن عبد الله بن سلام الإسرائيلي - الذي تقول الروايات أنه قد أسلم - إنما يتحدث مم عنده من الكتاب في مسألة ساعة الاستجابة ، وهو ما سنتعرض له بتفصيل في مبحث (ساعة الاستجابة) . ويرأب الصدع الموجود في توجيهه بحديث انتظار الصلاة حسب الرواية .

ورغم أن أبا هريرة لم يكن يعلم عن وقت هذه الساعة شيئا ، وتهالك على عبد الله بن سلام : أخبرني بها ولا تضن بها علي ، باتفاق مجموع الروايات المتحدثة عن الحديث في سياقه ، وهو ما يفيد أن أبا هريرة لم يأخذ هذا الخبر من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما أخذه من عبد الله بن سلام بعد مجيئه من رحلة الطور التي كانت بعد العهد النبوي وزمن كعب الأحبار .

رغم هذا فقد أصبح هذا الخبر الإسرائيلي حديثا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، يقول فيه أبو هريرة فيما رواه كل من مسلم صحيحه وأحمد في مسنده :

-أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي فقال : خلق الله عز وجل التربة يوم الأحد ، وخلق الشجر يوم الاثنين ، وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس ، وخلق آدم يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل[162] .

لقد تحول أبو هريرة الذي لم يكن له علم بالحديث عندما ناقش عبد الله بن سلام وكان يلح عليه في الطلب أن يعلمه إياه ، إلى راو لهذا الخبر مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، حيث أخذ بيده وقال له الحديث.

---

[162] -صحيح مسلم ، كتاب صفة القيامة والجنة والنار ، حديث 4997 . ومسند أحمد ، باقي مسند المكثرين ، حديث 7991.

وهكذا نرى أن مجموعة من الأخبار الواردة في هذه الرواية قد ذكر أبو هريرة أنه لم يكن يعلمها قبل أخذها عن رواتها :

1-ماهية يوم الجمعة عن كعب الأحبار.

2-لا تعمل المطي عن بصرة بن أبي بصرة الغفاري.

3-ساعة الاستجابة من يوم الجمعة عن عبد الله بن سلام .

فتحولت هذه الأخبار - بعد فصلها عن سياقها الروائي - إلى أحاديث مرفوعة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقد أخذها أبو هريرة عنه مباشرة .

وللحسم في مصدرية هذه الأخبار هل هي أحاديث نبوية أم أخبار إسرائيلية فلابد من عرضها على كل من أسفار الكتب المقدسة من جهة وما ورد في القرآن الكريم من جهة ثانية.

خلق آدم يوم الجمعة:

ورد في سفر التكوين ، وهو أول أسفار الكتاب المقدس ، وفي أول إصحاح منه ، حديث عن بدء الخلق الذي تم في ستة أيام ، ويفصل الكتاب المقدس عملية الخلق يوما يوما ، إلى أن يصل إلى النهاية حيث هيأ الله كل شيء ثم خلق الإنسان وسخر له كل شيء في اليوم السادس في آخر الخلق ، (وكان مساء وكان صباح يوما سادسا)[163] (وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به ، فاستراح فيه من جميع ما عمله)[164].

وذكر القرآن الكريم خلق الوجود في ستة أيام في سبعة مواضع ، نذكر منها قوله تعالى : "ولقد خلقنا السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب"[165]. غير أن الأيام المذكورة ليست هي

---

163 -الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الإصحاح الأول ،مقطع 31.

164 -الكتاب المقدس ، سفر التكوين ، الإصحاح الثاني ، مقطع 2.

165 -سورة ق آية 38.

أيام الناس هذه "الأحد ، والاثنين والثلاثاء والجمعة.." وإنما تحدث القرآن عن أيام لا يعلمها إلا هو ، ولا تخضع لليوم الأرضي الذي يحكمنا : "وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون " "تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة" .

أما خلق الإنسان فلم يكن ضمن خلق السماوات والأرض وأيامها الستة، وإنما بعد أن هيأ كل شيء ، وأخبر الملائكة بأنه خالق بشرا من طين ، "فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين". ومن ثم فلا علاقة بين يوم الجمعة التوراتي الذي ينبني عليه يوم سبتهم التوراتي والأيام الستة التي خلقت فيها السماوات والأرض ، وبين اليوم الذي خلق الله فيه آدم والذي لم يشر إليه القرآن لعدم فائدته ، وبذلك يكون ما جاء في الرواية منقولا عن التوراة سواء عن طريق كعب الأحبار كما تنص عليه رواية أخرى[166] ، أو عن طريق أبي هريرة من مصدر آخر إسرائيلي..؟!

وفيه تقوم الساعة:

ورد في الإنجيل عندما سأل التلاميذ المسيح عيسى بن مريم عن نهاية العالم، وأخبرهم عن الأحداث العظيمة التي تطرأ فيه ، قال لهم : "صلوا لكي لا يكون هروبكم في شتاء أو سبت ، لأنه ستكون حينها أحداث عظيمة جدا لم يكن منذ البدء وإلى يوم الناس هذا مثلها ولن يكون "[167]. ثم قال " " أما عن ذلك اليوم وتلك الساعة ، فلا أحد

---

[166] - روى أحمد عن أبي هريرة قال :-فدخلت على عبد الله بن سلام فسألت عنها، فقال : خلق الله آدم يوم الجمعة وأهبط إلى الأرض يوم الجمعة ، وفيه تقوم الساعة وهي آخر ساعة" مسند أحمد ، باقي مسند الأنصار ، حديث 22663.

[167] -إنجيل متى ، إصحاح 24 ،مقطع 21.

يعرفها ، و لا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن ، الذي يعرفها هو الأب وحده"[168].

وعندما نعود إلى القرآن الكريم ليحدثنا عن أمر الساعة ، فإن الله سبحانه وتعالى في معظم آيات الكتاب يؤكد فجائيتها وعدم علم أحد من العالمين بوقتها . (يسألونك عن الساعة أيان مرساها ، قل إنما علمها عند ربي ، لا يجليها لوقتها إلا هو ، ثقلت في السماوات و الأرض لا تأتيكم إلا بغتة ، يسألونك كأنك حفي عنها ، قل إنما علمها عند الله ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون [169]). وقال سبحانه : (ولله غيب السماوات والأرض ، وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب ، إن الله على كل شيء قدير)[170] . والنصوص في هذا المعنى كثيرة كلها تشير إلى فجائية الساعة وبغتتها وعدم علم أحد من العالمين بها ، وتحديد اليوم الذي تقوم فيه الساعة يناقض هذه الفجائية ، ويجعل الناس على الأقل ينتظرون يوما في الأسبوع ، وقد أمنوا طيلة الأسبوع من قيامها ..

وبهذا يؤكد كل من الإنجيل والقرآن أن لا أحد من الناس يعرف متى تقوم الساعة . إلا أن المسيح في الإنجيل يدعو تلاميذه لأن يصلوا لكي لا يكون ذلك في شتاء أو سبت .. وهو بذلك يريد أن يجنبهم وقوع الأهوال العظيمة في يوم السبت المقدس عندهم...

غير أن روايات أبي هريرة تعكس الآية ، فإذا كان المسيح يأمر تلاميذه بالصلاة كي لا يكون ذلك اليوم في سبت ، فإن هذه الأحاديث تؤكد أنه في يوم الجمعة ، فيصير بذلك يوم الجمعة يوم انتظار الأهوال.. ولعل المتأمل في الصفات التي وصف بها يوم الجمعة يلحظ ذلك ، فهو اليوم الذي أهبط فيه آدم من الجنة ، وهو اليوم الذي قبض فيه ، وهو اليوم الذي تقوم فيه الساعة ، والخلائق كلها مصيخة من طلوع الشمس

---

168 -إنجيل متى ، إصحاح 24، مقطع36.

169 -سورة الأعراف ، آية 187 .

170 -سورة النحل آية 77.

إشفاقا من القيامة ، إلا الثقلين ، والرواية تريد من الثقلين أن ينتبهوا إلى ما أشفقت منه الخلائق كلها فيشفقون مثلهم ، وهو ما يجعل هذا اليوم يوم المآسي والأهوال والخوف والفزع والإشفاق ، فمأساة الإنسانية -حسب التصور الكتابي- كان السبب فيها هو آدم عندما أهبط من الجنة، بخطيئته ، ولازالت الخطيئة التي قام بها هي سبب الشقاء الذي نعيش فيه ، وإن الإيمان المسيحي هو إحدى المحاولات للخروج بالإنسانية من مأساتها التي سببها رجل واحد، وسيخلصها منها رجل واحد هو المسيح الذي قدم نفسه فداء عنها ، وبذلك فالإيمان به مخلصا هو طريق خلاص البشرية ولا سبيل لها غيره ....

إن روايات أبي هريرة ، وإن كانت تتحدث عن خير يوم طلعت فيه الشمس ، فهي في الواقع تتحدث عن شر يوم طلعت فيه الشمس، يوم الخطيئة والخروج من الجنة وانتظار أهوال القيامة ، ولا نجد في القرآن الكريم إلا مخالفة صريحة لهذا الاتجاه ، فيوم الجمعة هو يوم عبادة وذكر وابتغاء من فضل الله ، وليس يوم خطيئة ولا فزع أكبر ، ومن ثم فإن حديث أبي هريرة الذي أصبح مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، إنما هو حديث كعب الأحبار استطاع أن يضلل به أبا هريرة ، فيصف له فيه يوم الجمعة بما يجعله شر يوم طلعت فيه الشمس ، وليس خير يوم طلعت فيه ..

والسؤال المطروح هو : هل الرواة عن أبي هريرة هم الذين رفعوا الحديث الموقوف على كعب الأحبار عندما فصلوه عن سياقه ، ظنا منهم أنه حديث مرفوع ؟ أم أنه أبو هريرة نفسه هو الذي روى هذا الحديث مرة موقوفا وأخرى مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ وفي كل الحالات فإن كتب السنن توجد فيها أحاديث مرفوعة وموقوفة ، وهو ما يوهم بأنها جزء من الدين الإسلامي وهو منها براء !!؟.

ولعل هذا الوجود لمثل هذه الأخبار ليطرح على مصداقية هذه الكتب ونقلها للإسلام الحنيف شكوكا كثيرة .. كما يطرح على

المنهجية المعتمدة في علوم الحديث وقواعـــده ورجالاتـــه وتصحيحـــه وتضعيفه وتعديله وتجريحه ومصطلحاته ..أسئلة عميقة تدفع البـلحثين إلى إعادة قراءة هذه العلوم بمنهجية جديدة تتجاوز ما هي عليه الآن ..

آخر ساعة من يوم الجمعة:

ذهبت معظم الروايات إلى أن ساعة الاستجابة في يوم الجمعة إنما هي في آخر ساعة فيه، وهي قول عبد الله بن سلام لأبي هريرة . وعندما نتأمل هذا القول فإننا نجده يتوافق توافقا كاملا مع نظرية الخلق التوراتية وفكرة اليوم التوراتي، فأما نظرية الخلق فتذهب إلى أن الله خلق العالم في ســـتة أيام، وتوج هذا الخلق بخلق الإنسان في آخر اليوم السادس، وأما فكـــرة اليوم فتبدأ من المساء إلى المساء الثاني (فكان مساء وكان صباح يوما سادسا).

ومن ثم فآخر يوم الجمعة يكون بعد العصر وقبـــل المغـــرب .. وحسب الرواية فإن أبا هريرة إنما أخذ هذا الخبر عن عبد الله بن ســلام الإسرائيلي العالم بالتوراة، و لم يكن يعلمه من قبل ، بل إنه قد جـــادل بن سلام في كون ما يقوله يتناقض مع قول النبي صلى الله عليه وســـلم "وهو يصلي" إذ هذا الوقت ليس وقت صلاة . لكن بن سلام اســتطاع أن يقنعه بحديث " انتظار الصلاة صلاة" ، ولو لم يقنعه لما قبل أبو هريرة توجيهه .. ورغم ذلك فقد روي الحديث من رواية أبي هريرة مرفوعـــا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فهل تلاميذ أبي هريرة هم الذيـــن رووه مرة موقوفا ومرة مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ؟ أم أنـــه أبـــو هريرة نفسه هو الذي فعل ذلك، فرواه موقوفا ومرفوعا؟!

إن هذا الحديث كما الحديث الأول أراد صاحبه أن يضلـــل بـــه أبا هريرة فذكر له أن ساعة الاستجابة إنما هي في غير وقت الصـــلاة ، بين العصر والمغرب ، وليس في وقت الجمعة :" يا أيها الذين آمنـــوا إذا

نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيـــع "[171]، وهو بذلك يجعل أهمية يوم الجمعة تتجه إلى وقت دخول يوم الســبت ، وتغفل قضية صلاة الجمعة كما أغفلها حديث كعب عندما تحدث عــن فضائلها التي هي الهبوط والفزع .. ومن ثم يصير فضل الجمعة هو عكس فضلها الذي نص عليه القرآن ، والذي هو ذكر الله الــذي يكــون في صلاة الجمعة وليس في آخر ساعة من النهار .. إن هذه الروايات تحـاول أن تصد المسلم عن الفضل الحقيقي للجمعة فتشغله بفضــل موهــوم ، ولعل النقاش الذي جرى بين عبد الله بن سلام وأبي هريرة إنما غايتــه أن يحل إشكال التناقض الموجود بين حديث ساعة الاستجابة والذي فيــه (وهو يصلي) وبين (الوقت الذي لا صلاة فيه) بتأويل استعمل فيــه حديث آخر وهو (انتظار الصلاة إلى الصلاة) .. ولعل المتأمل في هــذه الروايات يكتشف أن الاستدلال بالحديث من الأطراف المختلفة مكثــف جدا ، وهو ما يبين أن هذه الروايات هي صياغة روائية لمجموعــة مــن الأخبار المتداولة في عصر الرواية الشفوية ، هل كان أبو هريــرة هــو صاحب صياغتها ؟ إذ هو الراوي الوحيد لها ؟! هل كان لتلاميذه دخـل في هذه الصياغة؟! وكيفما كان الحال فهذه الروايات أخبار إســرائيلية وكتابية كانت تبحث لنفسها عن موطئ قدم في الثقافة الإســلامية في عصر الرواية الشفوية ، وكان أبو هريرة أحد التلاميذ النجباء والقصاص البارعين الذين استطاعوا تحقيق هذا الأمر واستطاعوا ترويجه والاستشهاد عليه ،أولا بالحديث النبوي، ثم برفعه ليصبح حديثا؟! ويصبح أبو هريــرة – الذي دلس شيوخه من أهل الكتاب وغــيرهم – قــد روى هــذه الأحاديث مباشرة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وتصبح رواياته محــط نقاش وتساؤل واتهام بالإكثار والتقول ، ويتصدى أبو هريرة لذلك جميعا مدعيا أنه كان ملازما لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يحضر إذا

---

[171] – سورة الجمعة آية 9.

غابوا ، ويذكر إذا نسوا لأن له كرامات خصه بها النبي صلى الله عليـــه وسلم بها دون غيره ، وهو ما تنفيه هذه المدارسة وتبـــين أن إكثـــاره ومخالفته إنما يرجع إلى "**المهارة الحرفية في القص والتحديث** " .

منا قشة الجزء الثاني من الردود

أخي القارئ الكريم :

بعد هذه الرحلة المتعبة الممتعة المستفزة، والتي كانت على غير المألوف ، أنقلك مرة أخرى للمشاركة في النقاش الجاري حول الكتاب، وحول أكثر قضاياه إثارة، ألا وهو موضوع الصحبة.

اتجه الدكتور عز الدين توفيق مباشرة للرد على ما ورد في المبحث الحادي عشر ، والذي عنوانه : "هل يعد أبو هريرة من الصحابة ؟" و لم يشر إلى أن المباحث العشرة السابقة عليه تعتبر بمثابة المقدمات الضرورية التي توصل إليه ، قال : "لم يتردد المؤلف في إطلاق هذا النفي (نفي الصحبة) ، وهو الاتهام الذي لم يسبقه إليه أحد ممن عادى أبا هريرة (رضي الله عنه) -في حدود علمي- و لم يكن الأمر عند المؤلف مجرد تساؤل بل هذا اعتقاده" ثم قال : "وحتى يقنع المؤلف قراءه بهذا الحكم الذي استقر في نفسه ساق روايتين إحداهما عن الذهبي وأخرى عن الواقدي فيهما السن التي كان فيها أبو هريرة عندما أسلم والسنة التي أسلم فيها (وهي السابعة للهجرة) والسنة التي توفي فيها وهي قبل الستين ومجموع عمره عندما توفي (78سنة)"[172].

وخصص سعد الدين العثماني رده لمناقشة هذه القضية تحت عنوان: "هل أبو هريرة صحابي؟"، إذ قال : "قد أوافق الدكتور بوهندي في بعض ما قال ، وقد أخالفه في غيره ، لكن ما لم أكن أنتظره منه أن ينفي كلية صحبة أبي هريرة للرسول صلى الله عليه وسلم ، لقد تسرع أخي مصطفى ، وانزلق من حيث لم يأخذ بأبسط أسباب الاحتياط

[172] عز الدين توفيق ،مناقشات وردود..، التجديد ،عدد 384 ،2002/6/7.

والحذر ، فقرر في عجالة وبأدلة منتقاة مبتسرة حكما كبيرا يحتـــاج إلى تأن وروية، وإلى استيعاب للمادة العلمية الضرورية"[173] .

وقال رستم: "صحبة أبي هريرة: هذا هو المقصد الأهم الذي سمت إليه همة الكاتب ، وعليه أدار كتابه ، ومن أجله مهد بتلك الشبهات التي توالت تترى"[174] .

وقال صاحب " السهام الكاسرة" : "و لم يقف الأمر عند هـــذا الحد ، إذ آل مسلسل التشكيك إلى أن شكك الدكتـــور في هويـــة أبي هريرة نفسه ، و لم ينتظر طويلا حتى خصه بفصل من الفصول فصله فيـه من ديوان الصحابة، وبه حظي الدكتور بشرف اكتشاف جديد يخول له موضعا – غير مشرف – ضمن كتب الأوائل التي دون فيـــها علماؤنـــا السابقين الأوائل في شتى الميادين ، فيقولون فـــلان أول مـــن وضـــع الدواوين، أو أول من نقط المصحف ، وهكذا ، ومن هذا الباب يقـــال بوهندي أول من اكتشف تابعيا كان مدسوسا على الصحابـــة اسمـه أبو هريرة!"[175] . "والسر وراء اكتشاف الدكتور الجديد ! معادلة رياضية سلطها على المعطيات التاريخية ، مختصرها عمليات زائـــد و نـــاقص ، فنقص رقم 33 من رقم 78 فكانت النتيجة رقم 45 ، ونقص هذا الرقـــم من رقم 59 وهذا يساوي بوضوح رقم 14، وهو ما يمثـــل في معادلـــة الدكتور الرياضية السنة التي قدم فيها المدينة ، وهذه الحقيقة التي سـحلها بحروف كبيرة اكتشف من خلالها أن أبا هريرة لم يكن صحابيا أصلا ، وإنما أسلم في خلافة عمر بن الخطاب.." [177]

وتناولت مختلف الردود الأخرى هذه المسألة وكانت محط نقاشها ويمكن مناقشة هذه الردود في النقاط التالية:

---

[173] سعد الدين العثماني، هل أبو هريرة صحابي، التجديد ، عدد 400، 2002/6/26.
[174] زين العابدين رستم ، التعقيبات ، المحجة ،عدد 175 ،7/5/ 2002 .
[175] الزبير أبو سلمان ، السهام الكاسرة ص 17 .

التعارض حقيقي

قال عز الدين توفيق : "وحاول أن يظهر التعارض بين هذه الأرقام ليخلص إلى أن أبا هريرة إنما أسلم في أحسن الأحوال في خلافة سيدنا عمر رضي الله عنه". ويستشف القارئ من قوله "وحاول أن يظهر التعارض بين هذه الأرقام" أنما هي محاولة مني لإظهار التعارض الذي لا وجود له بينها . ونسأل الدكتور : "لماذا تقترح علينا الترجيح بينها إذا لم يكن بينها التعارض؟" عندما تقول : "كان على المؤلف بعد أن سلم بصحة الروايتين واعتمدهما أن يرتب هذه الأرقام الأربعة حسب قوتها ليقف على الرقم الذي دخله الوهم" فأنت تعترف أن رقما ما دخله الوهم، وهو ما يعني أنه لا يمكن الجمع بينها، وهو معنى التعلوض الموجود ، فأنا لم أحاول إيجاده ، وإنما هو موجود أصلا ، وأنت تدعو إلى رفعه ، بترتيب الأرقام حسب قوتها وإزالة الرقم الموهوم..

وهاهو ذا صاحب " السهام الكاسرة" يعترف أن العملية الحسابية التي أوردتها سليمة مما يؤكد التعارض الحقيقي بين الأرقام وليس التعارض الموهوم إذ يقول: "لا جرم أن العمليات الحسابية التي انشغل بها الباحث سليمة وتخوله نقطة كاملة في الرياضيات ، بيد أننا الآن لسنا نعترض على عمليات الضرب وزائد وناقص ، بل السؤال المشروع وهو الأساس في هذا الموضوع ، أن يعرف القارئ المصادر التي أمدت البحاثة الرياضي بالأرقام التي أخضعها لعملياته الحسابية "[176].

الرقم الموهوم

ولنستمع إلى عز الدين توفيق وهو يرشدنا إلى إزالة الرقم الموهوم في الموضوع قال : "ولو كان نزيها و لم يكن في نفسه شيء من صحبة أبي هريرة (رضي الله عنه) فإنه سيجد أن أصح الأرقام الأربعة هو سنة

---

[176] الزبير أبو سلمان ، السهام الكاسرة .. ،ص17.

إسلامه ، لأنه يخبر عن نفسه ، الرجل أعلم بالسنة التي أسلم فيها ، خاصة أنها صادفت حادثا مشهورا في السيرة هو فتح خيبر ، وقد ينسى المسلم أشياء في حياته ، ولكنه لا ينسى أبدا يوم إسلامه فضلا عن عامه، فإن الإسلام ميلاد جديد للإنسان وتحول ضخم في مسيرة عمره لا يقع نسيانه ولو ابتعد بعشرات السنين.. إن العقل يقول بأن هذا الرقم هو أقوى الأرقام الأربعة.."

وقال الزبير بعد أن أشار إلى ضعف الواقدي: "فأبو هريرة عند الواقدي أسلم عام خيبر ، وعند الدكتور في زمن عمر! ولا حل أمام بوهندي إلا أن تكون غزوة خيبر مثل القادسية وغيرها من الفتوح التي كانت زمن عمر بن الخطاب ، و لم تكن من غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم ! لأن نفس الجملة التي اعتمدها في اعتبار أبي هريرة أسلم على عهد عمر ، تقرر أن ذلك كان أيام خيبر."[177]

فتح خيبر

سنة إسلامه هي أقوى الأرقام عند عز الدين توفيق ، لأن "الرجل أعلم بالسنة التي أسلم فيها، خاصة وأنها صادفت حادثا مشهورا في السيرة هو فتح خيبر" ، و "العقل يقول بأن هذا الرقم هو أقوى الأرقام الأربعة" ، وسنة إسلامه عند الزبير هي خيبر ، و لأن تتحول غزوة خيبر فتصير واحدة من الفتوح على عهد عمر أقرب عنده من أن يسلم أبو هريرة على عهد عمر؛ والذي نحب أن يعلمه الأستاذان أن هذا الرقم الأقوى الذي ذكراه إنما بني على مجموعة من الروايات التي تحتاج منا إلى غير قليل من التأمل والتمحيص حتى يتبين لنا قوتها من ضعفها ، وأهمها في الكتب التسعة أربعة أحاديث يروي فيها أبو هريرة قدومه إلى خيبر:

---

[177] الزبير أبو سلمان ، السهام الكاسرة .. ،ص17.

-" عـــن أبي هريـــرة قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم و هو بخيبر بعدما افتتحوها، فقلت يا رسول الله أسهم لي، فقال بعض بني سعيد بن العاص لا تسهم له يا رسول الله ، فقال أبو هريرة : هذا قاتل بن قوقل ، فقال ابن سعيد بن العاص : واعجبا لوبر تدلى علينا من قـــدوم ضأن ينعى على قتل رجل مسلم أكرمه الله على يدي و لم يهني على يديه، قال فلا أدري أأسهم له أم لم يسهم له ؟".

(رواه البخاري ،كتاب الجهاد والسير ، حديـــث 2615 ، وكتـــاب المغازي ،3911 ،3912 ، وأبو داود في الجهاد ، 2347 ، 2348).

- "أن أبا هريرة قدم المدينة في رهط من قومه، والنبي صلـــى الله عليه وسلم بخيبر وقد استخلف سباع بن عرفطة على المدينـــة ، قـــال فانتهيت إليه وهو يقرأ في صلاة الصبح في الركعة الأولى ب كـهيعص و في الثانية ويل للمطففين قال فقلت لنفسي ويل لفلان إذا اكتال اكتـــال بالوافي و إذا كال كال بالناقص ، قال فلما صلى زودنا شيئا حتى أتينـــا خيبر وقد افتتح النبي صلى الله عليه وسلم خيبر ، قال فكلم رســـول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين فأشركونا في سهامهم". (رواه أحمـــد في باقي مسند المكثرين ، 8196).

هاتان الروايتان يبين فيهما أبو هريرة أنه أتى النبي صلى الله عليـــه وسلم خيبر بعدما افتتحوها ، وأنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم سهما من الغنيمة لكن أحد بني سعيد بن العاص تدخل لمنعه من الحصول علـى هذا السهم ، فما كان من أبي هريرة إلا أن فضحه أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بدعوى أنه قاتل ابن قوقل ! ، وتعجب القاتل مـــن أن ينعى أبو هريرة المتدلي من قدوم ضأن على هذا القاتل قتله ، مـــع أنـــه عندما قتله كان كافرا واليوم هو مسلم؟! و لا يدري الراوي أأسهم لـــه النبي صلى الله عليه وسلم أم لا ؟ وفي الرواية الأخرى أن النبي صلـى الله عليه وسلم قد كلم المسلمين فأشركوه هو والرهـــط مـــن قومـــه في الغنيمـــة؟! والملاحظ في الروايـــتين أن النبي صلى الله عليه و ســـلم لم

يتدخل ولو بكلمة في الحوار الدائر بين أبي هريرة وقاتل ابن قوقل ، و لم يقل لأبي هريرة شيئا بمناسبة قدومه عليه ، ولا قال له شيئا عن الدين والإيمان، والموضوع كله إنما له علاقة بالأسهم من الغنائم !! هذا زيادة على ما في الروايتين من غرابة ، قادم جديد يسأل عن السهم من غنيمة لم يشارك فيها ، ومعترض يتدخل في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم على إعطاء هذا السائل ما أراده ، السائل الجديد يعرف أسرارا خاصة بهذا المعترض ويفشيها بعد الاعتراض مباشرة وليس قبله ، المعترض يذكر سر هذا القتل ويبين أن هذا الأمر لا يستوجب النعي ، وكل هذا والنبي صلى الله عليه وسلم لا يقول أي شيء، حتى أن الراوي لا يدري هل أسهم النبي صلى الله عليه وسلم لأبي هريرة أم لا ؟ وفي الرواية الأخرى يكلم المسلمين ليشركوهم في سهامهم ".

أما الرواية الثالثة والرابعة فقد جاء فيهما :

-"عن أبي هريرة قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر فلم نغنم ذهبا ولا فضة إلا الأموال و الثياب والمتاع فأهدى رجل من بني الضبيب يقال له رفاعة بن زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاما يقال له مدعم ، فوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وادي القرى ، حتى إذا كان بوادي القرى بينما مدعم يحط رحلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سهم عائر فقتله ، فقال الناس هنيئا له الجنة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي أخذها يوم خيبر من المغانم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا ، فلما سمع ذلك الناس جاء رجل بشراك أو شراكين إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال شراك من نار أو شراكان من نار".(رواه البخاري في الأيمان والنذور، 6213 ، والمغازي ، 3908 ، ومسلم في الأيمان ، 166، والنسائي في الأيمان والنذور ، 3767 ، وأبو داود في الجهاد ، 2336، ومالك في 869.)

-"أن أبا هريرة قال : شهدنا خيبر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل ممن معه يدعي الإسلام : هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل أشد القتال حتى كثرت به الجراحة ، فكاد بعض الناس يرتاب فوجد الرجل ألم الجراحة ، فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه ، فاشتد رجال من المسلمين ، فقالوا يا رسول الله صدق الله حديثك ، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال قم يا فلان فأذن أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن ، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر." (رواه البخاري في المغازي 3882 ، والجهاد والسير 2834 ، والقدر 6116 ، ومسلم في الإيمان 162 ، وأحمد في باقي مسند المكثرين 7744 ، والدارمي في السير 2405).

في هاتين الروايتين نجد أبا هريرة قد خرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خيبر وشهدها ورأى ما طرأ لأحد المقاتلين الذي أثخن بالجراح حتى انتحر، وغنموا لكنهم لم يغنموا ذهبا ولا فضة إلا الأموال والثياب والمتاع ، وحكى لنا قصة الغلام مدعم ، الذي أصابه سهم عائر فقتله ، وقال الناس : هنيئا له الجنة ! لكن الرسول يتدخل ليقول هو من أهل النار وأن الشملة التي أخذها من المغانم قبل المقاسم لتشتعل عليه نارا! وهو مخالف لما ورد في الروايتين السابقتين من أنه وصل خيبر بعدما افتتحوها ، وأنه لم يخرج مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوتها، و لم يشارك من قريب ولا بعيد في هذه الغزوة ،و إنما فقط سأل سهما من الغنيمة ، وهو تناقض جلي فتأمل !.. أما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم الغيب فيحكم على الناس بالدخول إلى النار، على رجل مقاتل قبل أن يقاتل ، وعلى رجل غل من الغنيمة دون أن يراه صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد مماته ،وعندما كان حيا لم يرشده بشيء ، فهذا أمر عجيب . أما أن الصحابة على العهد النبوي فليس لهم همّ إلا من يدخل النار ويدخل الجنة ، فهو الآخر غير صحيح ولا معقول ، وهذه النقاشات إنما طرأت بعد زمن الفتنة الكبرى حيث بدأ الحديث عن

الأحكام بالإيمان والكفر ودخول الجنة والنار بين المسلمين المختلفين ، وكان كل فريق يحاول أن يدخل أولياءه إلى الجنة وأعداءه إلى السعير ، بوضع أحاديث منسوبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك ! ولعل هذه الأحاديث تريد أن تشهد على بعض أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم في النار ، ولو خدموا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو قاتلوا معه حتى قتلوا !؟..

في اللقاء الأول الذي يرويه أبو هريرة ، والذي جمع بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم تحدث أربعة أحداث عجيبة لا يشهدها إلا أبو هريرة ،مع أنه كان في جمع غفير من الصحابة ، ولن يقول أحد أنه قد حصل قبل هذه اللحظة على حفظه المعجز الذي أدركه ببسط ردائه ، ولا حصل على حضوره الدائم الذي شغل عنه المهاجرون والأنصار بزروعهم وتجاراتهم؟!

ورغم ما في هذه الروايات من غرابة و عجائبية و تضارب فإنها جميعها تناقض الروايات الأخرى التي يتحدث فيها أبو هريرة عن إسلامه، فمرة قدم على النبي صلى الله عليه وسلم بعد رحلة طويلة من بلده ، والتي نجته من الكفر -كما قال عنها -، وأبق له غلام، فما أن رأى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أخبره بغلامه الآبق ، قائلا له : أهذا غلامك ؟ فأعتقه في الحال في سبيل الله .ومرة جاء وأمه في رحلة إسلامه وأسلم و طلب أن يدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمه بالهداية ،على الرغم من أنها كانت تلعن النبي صلى الله عليه وسلم ، فدعا لها ، وما أن وصل أبو هريرة إلى مكانة إقامته في المدينة مع أمه حتى سمع خشخشة الماء، ووجد أمه تتوضأ للصلاة , ورجع من توه ليبشر النبي صلى الله عليه وسلم بالأمر ويسأله مرة أخرى ليدعو له ولأمه بأن يحببهما من رآهما !! ... وكذلك كان ! وكل هذا وغيره إنما كان بالمدينة وليس بخيبر . والملاحظ في هذه اللقاءات جميعا أنها تتسم بالإعجاز و الذي لا يرويه إلا أبو هريرة عن نفسه !؟

إن هذا الروايات المتحدثة عن إسلام أبي هريرة بخيبر ، لتشهد بتضاربها وعجائبيتها وانفراد أبي هريرة بروايتها ، ونسبها ما لا يليق بالرسول صلى الله عليه وسلم إليه وإلى صحابته الكرام، على كونها جزء من القص الذي اشتهر به، و لا تستحق أن تتخذ مادة يبني عليها المترجمون ترجمتهم للرجل !!..

قال عز الدين توفيق " إن العقل يقول بأن هذا الرقم هو أقوى الأرقام الأربعة "

وقال الزبير : "الواقدي روى قدوم أبي هريرة عام خيبر وهي السنة السابعة هجرية ، وسند هذه الرواية إذا استثنينا الواقدي صحيحة، وموافقة لروايات أخرى صحيحة من غير طريق الواقدي ، هذه تجاهلها الأستاذ في صمت !"[178].

ونقول لهما " بل إن هذا الرقم هو أضعفها ، لأنه بني على روايات أقل ما يقال عنها أنها مضطربة لا تصلح للاستدلال ، ومتونها شاهدة على هذا الاضطراب والضعف".

الأساتذة يجتهدون

قال سعد الدين العثماني : "فكيف يؤخذ هذا دليلا لنقض إسلامه من الأصل ، إن الواجب عند اكتشاف خلل في حسابهم هو إصلاح الخطإ وتعديل الحساب ، لا التشكيك في أمر ثابت بالدلائل القاطعة."

وهو بقوله هذا يسمح لنا بالاجتهاد من أجل اكتشاف الخلل في حسابهم ، غير أن نهاية كلامه تنقض بدايته ، إذ أن اكتشاف الخلل يسقط القطعية، ويشكك في الأمر الذي ظنه الناس ثابتا وهو ما يسمى الخطأ الذي يقتضي التعديل...

---

[178] الزبير أبو سلمان ، السهام الكاسرة ،ص20.

وقال عز الدين توفيق وهو يريد أن يرشدنا إلى إزالة الرقم الموهوم "ويكون الرقم الرابع وهو الإخبار عن سنوات عمره عندما مات هو أضعفها لأنه إحصاء قام به المؤرخون ، فاحتمال الغلط فيه هو الأقوى ، لكن المؤلف قلب الأمر فجعل هذا الرقم أصحها ، وتبناه وبه أراد أن يشكك في الرقم الأول وهو السنة التي أسلم فيها أبو هريرة وهذا من التحكم الذي يفضي إلى قلب الأمور". وهو اجتهاد من الدكتور يجعل الأرقام الثلاثة الأولى صحيحة والرقم الرابع هو الذي تعرض للغلط، وهو اعتراف صريح بأن المؤرخين الذين وضعوا تراجم الرجال يمكن أن يقع عندهم الغلط ، وهذا واحد من أغلاطهم اكتشفه الدكتور عز الدين توفيق بعد أربعة عشر قرنا و أصاب فيه ، وهو اجتهاد لم يسبقه إليه أحد ممن والى أبا هريرة -في حدود علمي- ، و لم يكن الأمر عند الدكتور مجرد تساؤل بل هذا اعتقاده"، ورغم أن " أعدادا غفيرة من المؤلفين في هذا المجال من علماء السلف الذين تفرغوا لهذا العلم وأنشأوا له فروعا عديدة " وأصبحت كتبهم هي المصادر المعتمدة في هذا المجال ، فلم ينتبهوا لهذا الغلط ، و لم يذكروا أن الرقم الجديد سيصبح بين 83 و92 سنة ، وهو غلط يتراوح بين 5سنوات و14 سنة .. فهل نقول للدكتور "و أعجب لهذا الرجل كيف جوز له عقله أن تجتمع الأمة على ضلالة" و "هل ضل هؤلاء الذين كانوا في زمن التحري والمعاينة وأصاب المؤلف بعد أربعة عشر قرنا"، أو نقول له "كيف يخفى على الأمة بملايير هما أن أبا هريرة مات وعمره يتراوح بين 83 و92 سنة بدل 78 سنة ، وكيف يخفى هذا على أولياء أبي هريرة الذين سعوا إلى دفع التعارض عنه بكل وسيلة " .. إننا لن نقول له مثل هذا لأنه لا حجة فيه ، واجتهاد السابقين في المسألة لا يعضل اجتهاد الذين يلوهم ، ولا ينفي "اجتهاد تلك الأعداد الغفيرة من المحدثين الذين تفرغوا لهذا الأمر و أنشأوا له فروعا عديدة " اجتهاد الدكتور عز الدين توفيق الذي رأى أن الاختلاف والتعارض في المسألة الواحدة غير معقول ولا مقبول ، وهو

يجتهد لإزالته قدر الإمكان ، وحتى لو أخطأ فلن نجرمه أو نتهمه بما لا يصح ولا يليق لأنه في محراب العلم بين الأجر والأجرين ، ونتمنى أن يدرك الدكتور هذا ويتعامل مع الناس بمثله ، إذ ما قلناه هو الطرف الآخر للمعادلة الصعبة التي يريد حلها ، فإما أن يكون ما ذكره صحيحا وإن كان مخالفا لما اختاره أئمة المترجمين للرجال في كتبهم المعتمدة ، وهو أحد الاحتمالات الأربعة التي سنقف عندها ، وإما أن يكون غير صحيح وما ذكره أئمة المترجمين هو الصحيح ، فتترجح بذلك الاحتمالات الأخرى ، وعلى رأسها ما ذكرته من عدم إمكانية صحبة أبي هريرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولو ليوم واحد، وفي الحالات جميعا لن نقبل منه قوله في آخر رده : "وفي مثل هذا لا يقال إنه اجتهد و المجتهد دائر بين أجرين وأجر واحد "، ونقول له "إن غاية المجتهد ليس أن ينتصر لما عليه الناس أو لما يخالفهم بأي وسيلة كانت ، بل إن المجتهد هو ذلك الشخص الصادق الباحث عن الحق ، المتحري للصواب سواء أوافق ما عليه الناس أم خالفه ، غير أن بحثه ينبني على الاستدلال والبرهنة والحجة البالغة ، وليس لأحد الحق في أن ينفي عن عمله صفة الاجتهاد لأنه وافق أو خالف ما عليه الناس وموروثهم و أهواءهم، و إلا سننفي نحن كذلك عن التوجيه الذي ذهب إليه الدكتور صفة الاجتهاد لأنه خالف ما ذكره المترجمون منذ ما يزيد على ثلاثة عشر قرنا.

الاجتهاد الثاني

ثم قال الدكتور : "وعلى فرض أن هذا رقم صحيح وأن أبا هريرة توفي عن ثمان وسبعين سنة ، لماذا لم يصحح به المؤلف سنة وفاته فيقول إنه توفي سنة اثنين وخمسين ، وهذا محتمل لأنها واقعة قبل الستين.؟".. ومرة أخرى يطلع علينا الدكتور باجتهاد جديد لم يسبقه إليه -حسب علمي- أحد من العالمين ، ويخالف مخالفة صريحة شهادة الرواة الكثر

الذين تتلمذوا على أبي هريرة ، كما يخالف شهادة الأحداث التي كان أبو هريرة أحد أبطالها.. وليعلم الدكتور أن له الحق في هذا الاجتهاد ، وإن كانت نتيجته مخالفة لما عليه الآباء والأجداد ، كما لغيره الحق في خلافه .. والاجتهاد لا يقبل أو يرد لكونه موافقا أو مخالفا لما عليه الناس، لكنه يقبل أو يرد لقوة أدلته أو ضعفها.. وهذا الاجتهاد في نظرنا ضعيف جدا ، أولا : لأن سنوات الوفاة تعتمد على الشهادة أكثر من الاجتهاد ، والشهود -وإن اختلفوا- فقد ذكروا أنه توفي بين سنة57 و60 هـ ، ثانيا: لأن هذه الشهادات تؤيدها أحداث كبيرة في التاريخ الإسلامي ، ومن ذلك وفاة أمنا عائشة وأم سلمة بين سنة 58 و 59هـ، ثالثا لأنه قد تقلب في مناصب مهمة قبل وبعد 52هـ ، ومن ذلك تقلده الإمامة والإمارة والقضاء ، وتكفل معاوية بن أبي سفيان بأسرته عند وفاته ، وموت عدد من الصحابة الذين طالت أعمارهم في حياته.. وإن احتمال أن يكون أبو هريرة توفي سنة52هـ، رغم بعده فإنه لا يسعف الدكتور في شيء ، بل إنه إذا أراد أن تسلم الأرقام الأخرى من الانتقاض ، ويكون أبو هريرة قد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم منذ خيبر، فعليه أن يقول إنه توفي بين سنة 46 و52 للهجرة ..وليس سنة 52هـ .

قبل الستين

أما قوله : "وهذا محتمل لأنها واقعة قبل الستين " ، فلا دليل فيه كذلك ، لأن الرواية/ الشهادة المعتمدة في هذا الأمر حددت سنة وفاته كذلك ، وفيها أنه قال : "اللهم لا تدركني الستين ، فمات فيها أو قبلها بسنة " ، بل إن قوله "لا تدركني الستين" ليؤكد أنه قريب من سنة الستين بسنين قليلة ، أما ما يذهب إليه الدكتور فيبعد بثمان سنوات ، والواجب أن يبعد بما بين 8 و14 سنة، أي بين سنة46 و52 هجرية.. وإن هذا الاحتمال الثاني ، زيادة على ضعفه فإنه يقتضي رد كل الروايات

المتحدثة عن سنة وفاته ودوره المشهود في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية منذ سنة 52 للهجرة... وأقل ما يقال عن هذا الاحتمال أن أدلته غير كافية ولا مقنعة ..

احتمال ثالث

قال عز الدين توفيق "هذا في حالة صحة الروايتين" ، وهو ما يشير إلى كون الروايتين اللتين بنى عليهما المترجمون ترجمتهم لشخصية أبي هريرة ، واللتان تتحدثان عن سنه عندما أسلم وسنة إسلامه تحتاجان إلى مراجعة وإعادة نظر، فهل أسلم وسنه يزيد على الثلاثين سنة بسنوات ؟ وهل أسلم بخيبر وصحب النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين؟ - إذا أردنا أن تسلم الأرقام الأخرى من الانتقاض ، ويكون قد أسلم وسنه يزيد على الثلاثين سنة ، فسيؤول الأمر إلى ما ذهبنا إليه من عدم إمكانية صحبته للنبي صلى الله عليه وسلم ولو ليوم واحد، وسيكون إنما أسلم في خلافة عمر، وهو الأمر المرفوض الذي من أجله جردت هذه الردود!!؟.. -و إذا أردنا أن نلغي هذا الاحتمال وتسلم الأرقام الأخرى من الانتقاض ، فيصحب أبو هريرة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين ، فسيكون قد أسلم وعمره 25 سنة، وهو قول لم يقل به أحد -في حدود علمي- ، و لم يرو عن أبي هريرة الذي هو "أعلم بسنه عندما أسلم" ، ويخالف هذه الرواية التي اعتمدها المترجمون... فهل يجرؤ عز الدين توفيق أن يقول لأسلافه من العلماء: "إذا أردتم أن تستقر الأرقام المعتمدة في كتب التراجم ، ويكون أبو هريرة قد صاحب النبي صلى الله عليه وسلم منذ خيبر، فعليكم أن تجعلوا هذه الرواية مردودة وتجعلوا سن أبي هريرة عند إسلامه هو خمسا وعشرين سنة بدل ما يزيد على الثلاثين سنة سنوات؟".. وتضعيف هذه الرواية قد يضعف جزءا آخر منها وهو قوله "صحبت النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنين " ، فهل يقبل الدكتور بعمله هذا أن يتطرق الضعف إلى الصحبة نفسها ،

وهو ما يحاول الدفاع عنه؟ .. وفي جميع الحالات فلابد من الاجتهاد في الموضوع لدرء التعارض الموجود بين الأرقام ، ولا يكون ذلك إلا بتغيير بعض هذه الأرقام وإسقاط ما انبنى عليه ، في الاحتمال الأول : تغيير رقم 78 سنة إلى ما بين 83 و92 سنة . وفي الاحتمال الثاني : تغيير سنة 57 حتى 60 هجرية إلى 46 حتى 52 للهجرة . وفي الاحتمال الثالث : تغيير سنه عند إسلامه من ما بين 33 و39 سنة إلى 25 سنة . ولابد في أي احتمال من هذه الاحتمالات من تصحيح خطإ أو أكثر وقع فيه العلماء منذ قرون عديدة، ولابد من تضعيف الرواية التي انبنى عليها هذا الخطأ منذ هذا الأمد البعيد ، فهل سيعلن الدكتور والذين يتفقون معه أحد هذه الأخطاء التي وقع فيها أولائك الذين تفرغوا لهذا العلم وأنشأوا له فروعا عديدة ، وأصاب هو بعد أربعة عشر قرنا ... أم أنه سيكتفي باقتراح بعض هذه الاحتمالات دون أن تكون له الجرأة والشجاعة على تبنيها، والدفاع عنها مهما ترتب عنها من نتائج وانعكاسات ؟! شأنها في ذلك شأن آلاف الاقتراحات المناقضة لما كان عليه الآباء والأجداد ، غير أنها لا تتجاوز الاقتراح لترقى إلى مستوى البدائل للأفكار والمفاهيم والتصورات الخاطئة عند الأسلاف؟!..

مع الواقدي وكثير بن زيد

قال سعد الدين العثماني : "إن الحديث المعتمد في هذا المجال غير صحيح السند ، ففيه كثير بن زيد (وهو الأسلمي) ضعفه أغلب أئمة الجرح والتعديل "، ثم قال : "ولو افترضنا أن الحديث يصلح للاستشهاد فإن حساب الأعمار والتواريخ كله تقديري في الأحاديث والروايات".

وقال الزبير : " إن الرواية التي بنيت عليها – وهي الوحيدة التي أوردها واستنتجت منها عدم صحبة أبي هريرة – منكرة باطلة لسببين ، فيها الواقدي أولا ، وفيها كثير بن زيد ثانيا ، وهاك ما قيل في كل منهما فتأمله فهو الذي يجعل كل ما كتبت في حكم العدم والملغي ".

ثم ذكر أن محمدا بن عمر الواقدي متروك كذاب، وأورد مجموعة من الشهادات هذه مضامينها : كذاب / ليس بثقة يضع الحديث / أحاديثه غير محفوظة والبلاء منه / فيه ضعف / متروك مع سعة علمه / وحاله في السير أحسن من حاله في رواية الحديث. أما كثير بن زيد فهو وإن كان أخف حالا من الواقدي / فيه لين / ضعيف / صالح ليس بالقوي /وأورد ردودا أخرى قريبة من هذا الكلام..

قال رستم :"ونسي أن في هذا الخبر الواقدي وهو ضعيف بل متفق على ضعفه "[179].

وقال الزبير : "محمد بن عمر الواقدي متروك كذاب"[180].

وقال في موضع آخر : "الواقدي روى بسند ضعيف إضافة إلى ضعفه الشديد نفسه "[181].

وحسب هذه الأقاويل فزيادات الواقدي ساقطة ، وهو ضعيف متفق على ضعفه ، وضعفه شديد ، وهو متروك كذاب ، "إذن أنت ترى يا أستاذ أن الحديث الذي هو أساس كتابك لا يساوي شيئا ، وبه يسقط كل ما في الكتاب !".

إن الملاحظة الأساسية حول ما ذكروه في حق محمد بن عمر الواقدي وكثير بن زيد يمكن أن يلخص المشكلة التي يعانيها الدارسون للتراث العربي الإسلامي، فإذا رضوا غابت العيوب وإذا سخطوا غابت المحاسن ، كما قال الشاعر :

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا

---

[179] زين العابدين رستم ، التعقيبات ، المحجة عدد 179 -2002/7/5

[180] الزبير أبو سلمان ، السهام الكاسرة ، ص20 .

[181] الزبير أبو سلمان ، السهام الكاسرة ، ص18 .

فهذا أبو هريرة لم تستطع أعينهم أن تبصر أي عيب في رواياتـه ، وهم يدافعون عنه بالحق والباطل . وهذا الواقدي أصبح متروكا كذابا لا يعتمد بحال وغابت كل محاسنه ، لأنه وافق رأيا مخالفا في جزئيـة مـن الجزئيات.

فأما ما ذكروه من أن زيادات الواقدي ساقطة فيردها أنه العمـدة في المغازي والسير والطبقات ، وأغلب ما يذكره ليس للناس طريق إليـه إلا بواسطته ، ويكفي أن يعتمده كافة أهل المغازي والسير والطبقـات ، وهذه بعض أعداد النقول عنه في هذه المصادر ، فقد نقل عنه الذهـبي في سير أعلام النبلاء ما يزيد على ثلاثمائة قول ، بما فيها توثيقه وتعديلـه في العلماء والمحدثين ، والطبري في تاريخه ، وابن كثير في البداية والنهايـة مثله، ونقل عنه صاحب الإصابة ما يزيد على ستمائة وخمسينا قـولا ، ويكفي أن يكون محمد بن سعد كاتبه ، وطبقاته ملخصا لما أملاه عليـه الواقدي ، ويكفي أن يكون الإمام الشافعي أحد تلامذته.. ولا تجد أحدا من المختصين في المغازي والطبقات والسير يترك الواقـدي ولا يـروي عنه.. وهل ينقل عنه هؤلاء وهم يستغنون عنه ،ويضعفون ما انفرد به ؟! ولنستمع إلى الذهبي في سيره يقول عنه : "ومع هذا فلا يستغنى عنـه في المغازي وأيام الصحابة وأخبارهم"[182].

وأما أنه متروك كذاب ، فقد يصح عند من تركه وكذبه و لم ينقل عنه ، أما من نقل عنه واعتمد رواياته فقد وثقه وأصبح مـن رجالـه ، فهذا أبو بكر الصاغاني يقول عنه : "والله لولا أنه عندي ثقة ما حدثـت عنه ، قد حدث عنه أبو بكر بن أبي شيبة وأبو عبيد وسمى غيرهما"

وأما إذا اعتبرناه كذابا رغم أن أهل التراجم يعتمدونه ، فيلزم مـن هذا القول ليس إعادة النظر في ما رواه عن أبي هريرة فقط ، وإنما في كل ما رواه عن الصحابة الآخرين وصحبتهم والتابعين وسيرهم مما يجعـل

---

[182] الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، ج9 ، ص455.

السحر ينقلب على الساحر!؟.. فتتأكد ضرورة المراجعة الواجبة للتراث ولما قام به المترجمون في وضعهم لترجمات الرجال وسيرهم..

وأما أن يكون ضعيفا متفقا على ضعفه ، فالواضح أن أصحابنا أغمضوا أعينهم على ما جاء في توثيقه في الكتب التي أخذوا منها ، ولو كان الأمر في صالحهم لفعلوا العكس ، وهذه بعض الشهادات التي تناقض ما يقولون :

"قال إبراهيم الحربي سمعت مصعب بن عبد الله يقول : الواقدي ثقة مأمون.

وسئل معن بن عيسى عن الواقدي ، فقال أنا أسأل عن الواقدي ، الواقدي يسأل عني؟!

يزيد بن هارون : الواقدي ثقة.

الحربي سمعت أبا عبد الله يقول الواقدي ثقة.

قال الحربي أما فقه أبي عبيد فمن كتب الواقدي ، الاختلاف والإجماع كان عنده .. وهو إمام كبير وإن أخطأ في اجتهاده هذا ، ومن قال أن مسائل مالك وابن أبي ذئب تؤخذ عمن هو أوثق من الواقدي فلا يصدق..

وقال الخطيب هو ممن طبق ذكره شرق الأرض وغربها وسارت بكتبه الركبان في فنون العلم من المغازي والسير والطبقات والفقه ، وكان جوادا كريما مشهورا بالسخاء.

قال محمد بن سلام الجمحي الواقدي ذهب إلى الشام والرقة ثم رجع فولاه المأمون القضاء ، إذ قدم من خراسان ، عالم دهره "[183].

وقال ابراهيم الحربي : "الواقدي أمين الناس على أهل الإسلام كان أعلم الناس بأمر الإسلام ، فأما الجاهلية فلم يعلم فيها شيئا.

---

[183] الذهبي ، سير اعلام النبلاء ، ج9 ، ص957.

وقـــال موسى بن هارون سمعت مصعبا الزبيري يذكر الواقدي، فقال والله ما رأينا مثله قط.

وعن الدراوردي وذكر الواقدي فقال : ذاك أمـــير المؤمنـــين في الحديث..

وغيرها من الأقوال.. ولو تأملنا اعتماد المترجمين لتوثيقه لأعـــلام الرجال حيث يوثق هذا ويضعف ذاك ، لعلمنا مقدار ثقتهم به.

وهذا يسقط ادعاء الإجماع أو الاتفاق على تضعيفه وتركه وعـدم اعتماد ما انفرد به وغيرها من الدعاوى العارية.. كما لا ينبغي أن يفـهم من كلامنا أن رواياته غير قابلة للمدارسة والتحليل والنقد..

وما قلناه عن الواقدي نقوله عن كثير بن زيد ، إذ يكفي أن يقول الزبير: "أما كثير بن زيد ،فهو وإن كان أخف حالا من الواقـــدي " ، فنقول له : مادام ردكم على الواقدي لم يفلح ، فردكم على الأخف منه حالا لا يفلح من باب أولى ..

وعليه فإن تضعيف هذه الروايات بكون الواقدي أو كثير بن زيـد من رواتها ليس فيه أية حجة على ضفعها تبعا لما ذكرناه .

فتح باب الاجتهاد

إن ما سيعلنه عز الدين توفيق درءا للتعارض بين الأرقام المبنية على الروايات والاجتهادات ، ودفاعا عن صحبة أبي هريرة وملازمته للنـــبي صلى الله عليه وسلم ثلاث سنوات ، لن يكون ممكنا ، إلا إذا تنازل عن الوهم القائل: "وهل ضل هؤلاء الذين كانوا في زمن التحري والمعاينـــة وأصاب الدكتور بعد أربعة عشر قرنا" ، ويقـــر بـــأن الـــروايـــات و الاجتهادات المنقولة إلينا عن الأسلاف يمكن أن تحتوي على أخطـــاء يسمح للأخلاف بتصحيحها ، وهو ما أشار إليه سعد الدين العثمـــاني.. وأن اكتشاف بعض الأخطاء في الرواية أو الاجتهاد أو المنهج ، هو جزء لا يتجزأ من الدراسات الإسلامية النقدية ، التي أعطت للعلوم الإسلامية

تميزها الواضح وقوتها الذاتية على النقد والإبداع والتصحيح والتطوير .. و إذا حصل هذا فعند ذاك يمكن أن تعرض كل الاحتمالات على التمحيص والمدارسة ، لأنها اجتهادات بشرية قابلة للصواب و الخطإ ، و أصحابها ليسوا ملائكة ولا شياطين ، ويحق لهم أن يجتهدوا، وهم بين الأجر والأجرين ، بما في ذلك الاحتمال الرابع الذي رفضه المخالفون.

الاحتمال الرابع

إن ما ذهب إليه الكتاب هو أحد الاحتمالات الأربعة التي بها يزول التعارض بين الأرقام الأربعة الواردة في الروايات، والذي أحب أن أنبه إليه أن هذه الأرقام وغيرها في التراث العربي الإسلامي لم يكن لها هذا القدر الكبير من الدقة الذي نتعامل به معها ، وإنما هي في أحسن أحوالها أرقام تقريبية تقديرية، لكن النظرة التقديسية للتراث أضفت عليه نوعا من الوثوقية المبالغ فيها ، و أغفلت كثيرا من العوامل الموضوعية التي لابد للدارس للتراث من استحضارها حتى تكون أحكامه عليه أكثر مصداقية . إن هذه الأرقام قابلة للصواب والخطإ بدرجة من الدرجات ، وهو ما ينسحب على الروايات الذاكرة لهذه الأرقام، فهي قابلة للصحة والضعف كذلك ، والنتائج المبنية على كل ذلك نسبية وقابلة للصواب والخطإ . وهو ما يدفع إلى التثبت والمراجعة الدائمين حتى نقترب من الصواب...

أحد الشواهد

لم تكن هذه الأرقام هي أساس الدراسة -كما ظنه البعض- لصحبة أبي هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما كانت إحدى الشواهد المتأخرة التي أكدت على ما وصلت إليه الدراسة وليس العكس، فلقد تأكد لي من خلال ما يزيد على العقد من الزمان في مدارسة روايات التفسير والحديث ومن أهمها روايات أبي هريرة ، وأنا

أبحث عن الإسرائيليات والنصرانيات في التراث العربي الإسلامي ، أن ما رواه أبو هريرة كان أكثره منها، ولقد بينت موافقتها لما في كتب اليهود والنصارى ومخالفتها للقرآن الكريم ، ومفاهيمه وعقائده وقصصه ، بل وشرائعه وقيمه ومضامينه ورؤيته وأسلوبه . وبينت استحالة صدور مثل هذا الكلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، و إنما هو كلام منسوب إليه ، فكان السؤال: لماذا تولى أبو هريرة كبر نقل هذا الكلام ؟ هل يمكن لصحابي تربى في كنف النبوة أن يكون ناقل أخبار أهل الكتاب إلى الثقافة الإسلامية بالحدة التي كشفت عنها الرسالتان ؟ وبدأت التحقيق في هذه الشخصية العجيبة من خلال رواياته وكلامه ، لا من خلال شهادة الذين يوالونه أو يعادونه.؟ وانطلقت في هذا التحقيق من الكتب التسعة حتى لا تتهم الدراسة بأن مصادرها ضعيفة أو معادية أو غير معترف بها .. ولم أنهج منهج الانتقاء ، أنتقي بعض النصوص التي تخدم وجهة نظر مسبقة أفرضها على الدراسة ، بل نهجت منهجا استقرائيا عالجت به مسألة إكثار أبي هريرة من الرواية من خلال كلامه وردوده ورواياته الواردة في الكتب التسعة ، دون إغفال أي واحدة منها ، أو التكتم عنها أو إضافة غيرها مما لم يرد فيها ، وكنت أنصت لردوده على المشتكين من إكثاره وأنا أريده أن يجيبني عن سبب إكثاره من رواية الإسرائيليات والنصرانيات، التي علمت علم اليقين أنها ليست من الدين ولا قالها الرسول الكريم ، ولا يمكن أن ينقلها عنه ملازم له صادق أمين ، وعلمت من أجوبته المتناقضة فيما بينها والمختلفة عن واقع الحال والمآل ، ومن رواياته المخالفة لبعضها البعض أولا ، وللقرآن ثانيا ، وللسنن التي وضعها الله في الكون والإنسان ثالثا ، والموافقة لفظا أو معنى ، أفكارا ومفاهيم وتصورات وعقائد وشرائع لما عند أهل الكتاب من يهود ونصارى ..

وبعد أن تبين لي أن أجوبته وردوده ورواياته تشهد بعكس ما يذهب إليه من ملازمة خاصة للنبي صلى الله عليه وسلم ، قررت أن

أبحث عن شهادات تثبت وجوده ملازما للنبي صلى الله عليه وسلم ، فلم أظفر بأي شهادة يمكن الاطمئنان إليها ، بأنه كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ، وما أورده المخالفون من روايات فليس فيه الجواب على أسئلتنا المتعلقة بشهادات غيره من الصحابة على ما رواه في ما يتعلق بشخصه وحضوره وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم، زيادة على كون أغلبها خارج الكتب التسعة التي جعلناها مجالا لدراستنا حتى لا تكون من الروايات الواهية الموجودة بكثرة خارج هذه الكتب.

وأما ما أوردوه في شأن أهل الصفة فليس موضوع نزاعنا ، إذ أننا نتحدث عن أهل الصفة كما صورهم لنا أبو هريرة بعد خيبر وهم في الجوع والفقر والعري والتسول في المسجد ينتظرون الصدقات وأبو هريرة عريفهم ؟! لماذا لا يشهدون على هذه الأيام العصيبة بعد خيبر ، كما شهد عريفهم؟!..

بل إن الأحداث المهمة التي كانت على عهده صلى الله عليه وسلم غاب عنها أبو هريرة ، ولم يرو عنها شيئا ، كحادث احتضار النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته ، رغم أنه ورد عنه أنه بقي معه صلى الله عليه وسلم حتى توفي، وحادث السقيفة واستخلاف أبي بكر وعمر ، وهو كذلك لم يرو عن هذا الأحداث شيئا ، ولا ذكر أنه كان موجودا بله أن يكون مشاركا ..

الأرقام آخر وسيلة

وكانت الأرقام هي آخر وسيلة اتجهت إليها لتصديق أو تكذيب ما ذهبت إليه ، والسؤال الذي طرحته على هذه الأرقام هو هل كان أبو هريرة صحابيا ؟ فأجابت الأرقام : لا ، لم يكن صحابيا ، ولا يمكنه أن يصاحب النبي صلى الله عليه وسلم ولو ساعة من نهار ، لأنه حسب الأرقام المتوفرة في الكتب المعتمدة في التراجم عند أهل السنة والجماعة ، سيكون قد أسلم في أحسن أحواله في خلافة عمر بن الخطاب بين سنة

14 و20 للهجرة .. وهو ما كنت أتوقعه ، وصدقت هذه النتيجة ما ذهبت إليه ، وفكت لغزا حيرني لمدة غير قصيرة من الزمن : كيف لصحابي أن يكون جسرا لمرور العقائد والتصورات والمفاهيم والشرائع الكتابية المنحرفة إلى الثقافة الإسلامية والعقل المسلم ؟!..

احتمالان لا أربع

وعليه فإن ما ذكره المخالفون من احتمالات لحل التعارض بين الأرقام المذكورة ، لم يكن منطلق دراستنا ؟ لأن السؤال الذي به بحثنا في الأرقام هو هل كان أبو هريرة صحابيا ؟ وفي هذه الحالة فنحن أمام احتمالين اثنين لا ثالث لهما ، فإما أن هذه الروايات في تعيين السنوات صحيحة أو قريبة من الصحة ، وعليه فأبو هريرة ليس صحابيا، و لم يلازم الرسول صلى الله عليه وسلم ولو ليوم واحد ، وأن ما رواه مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قد أخفى شيوخه فيه ، قد يكون بعضهم من الصحابة وبعضهم من أهل الكتاب وغيرهم . وهذا هو ما يمكن من تفسير كثرة روايته من جهة وكثرة الإسرائيليات والنصرانيات والموضوعات في أحاديثه .. وإما أن هذه الروايات لا تصح أو لا يصح بعضها، وأن الخطأ فيها كبير قد يمتد من خمس سنوات إلى أربعة عشر سنة ، وفي هذه الحالة كذلك سيطرح السؤال كبيرا على كتب التراجم والرجال : كيف حصل غلط كبير في مسألة السنوات في هذا الموضوع في شخصية مهمة كأبي هريرة ؟ و لم يعلن عنه أحد من الدارسين والمحققين إلى أن مس صحبة أبي هريرة؟! ألا يكون مثل هذا الغلط دافعا لإعادة النظر في ما وصلت إليه جهود تراجم الرجال والجرح والتعديل ، والتاريخ والطبقات والتصحيح والتضعيف والمصطلح ؟!..

خاتمة:السؤال لا زال مطروحا!

وكيفما كان الحال فسؤال صحبة أبي هريرة سيبقى مطروحا ، فأما صحة الأرقام فتجيب عليه بالنفي وأما ضعفها فلن يجيب عنه بالإيجاب ، ولن يحل مشكلة روايته للإسرائيليات والنصرانيات والموضوعات ،وإنما قد يزيدها تعقيدا ، أما ما ذهب إليه المخالفون من احتمالات فهي الأخرى لن تجيب عن سؤالنا : لماذا أكثر أبو هريرة من رواية الإسرائيليات والنصرانيات والموضوعات ؟!.. وإنما ستضيف معطيات جديدة تؤكد على إمكانية الغلط الذي وقع فيه العلماء والمترجمون ، والذي يصل ما بين خمس سنوات وأربعة عشر سنة، وهي مدة طويلة من الغلط لا نفترضها إلا لإثبات صحبته ورواياته المتحدثة عن الملازمة والحضور، أما إذا تركنا هذا الإصرار على إثبات الصحبة ، فستصح الأرقام أو تقرب من الصحة ، وسنجد الجواب الشافي على سبب إكثار أبي هريرة من رواية الإسرائيليات والنصرانيات والموضوعات، والذي هو **"المهارة الحرفية في القص والتحديث"** ، وتسقط بذلك كل الاحتمالات التي ذكرها المخالفون والمخالفة لما ذكرته كتب التراجم...

فهرست الموضوعات

تصدير 3
مقدمة الطبعة الثانية..... 4
مناقشة الردود (الجزء الأول) 6
بداية الحوار..... 6
حق وباطل 7
خلاف تصورات 10
ضرورة السؤال 15
أحاديث الفتن 18
ما لا يتعلق بأحكام الشرع 18
كتاب "أكثر أبو هريرة"..... 22
تمهيد 23
الإكثار من الرواية وتساؤل الناس عنه 24
الأنصار والمهاجرون لا يروون مثل روايته..... 25
كتمان العلم..... 25
ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم..... 27
انشغال المهاجرين والأنصار بأسواقهم وأموالهم..... 30
مع عائشة أم المؤمنين..... 32
يحفظ فلا ينسى..... 36
بين أبي هريرة و عبد الله بن عمرو بن العاص 40
بشبع بطني 42
مع ابنة غزوان..... 48
هل يعد أبو هريرة من الصحابة؟..... 50

تدليس أبي هريرة 53
الخروج إلى الطور.....62
بين التوراة والحديث النبوي 64
بصرة بن أبي بصرة 67
كذب كعب الأحبار 70
أحاديث أم إسرائيليات؟ 72
مع عبد الله بن سلام 74
خلق آدم يوم الجمعة 79
وفيه تقوم الساعة 80
آخر ساعة من يوم الجمعة 83
مناقشة (الجزء الثاني) من الردود 86
التعارض حقيقي 88
الرقم الموهوم 88
فتح خيبر 89
الأساتذة يجتهدون 94
الاجتهاد الثاني 96
قبل الستين 97
احتمال ثالث 98
مع الواقدي وكثير بن زيد 99
فتح باب الاجتهاد ... 103
الاحتمال الرابع 104
أحد الشواهد 104
الأرقام آخر وسيلة 106
احتمالان لا أربع 107
خاتمة: السؤال لا زال مطروحا..... 108
فهرست الموضوعات.....109